أترك الجمود و ابدأ التغيير

الفن و الأسلوب و التواصل

د. مهدي عامري

أترك الجمود وابدأ التغيير

د. مهدي عامري

ماهي للنشر والتوزيع

كيف تغير حياتك ؟

كيف تخرج العبقري المبدع النائم في أعماقك إلى الوجود ؟ كيف تسخر كل قوتك و طاقتك لتنزيل أحلامك على أرض الواقع ؟ كيف تنتقل من النظرية إلى التطبيق و من الحلم المجرد إلى التحقيق، و من القول إلى الفعل ؟

عندما تركز قوتك و تفكيرك حول هدف معين فإنك حتما ستبلغه رغم كل التحديات. إن سبب فشل كثير من الناس في الحياة يعود إلى صب تركيزهم على أشياء تافهة و سطحية، و من الثابت أن تغيير الحياة يستلزم لحظة واحدة.

في سرعة البرق، تقرر أن تهجر العادات السلبية القديمة و تشق الطريق نحو الجديد و الأفضل.

إن دواعي أن تكون حياتك ذات جودة عالية كثيرة بل لانهائية، فكن من الأشخاص الذين يستجيبون لذاك المنبه الذي يجعلك في صميم نفسك تلتزم بحب الحياة و بإيقاظ تلك القوة الكامنة فيك والتي منحها إياك الخالق الكريم.

ماهي للنشر والتوزيع
Mahy For Publishing & Distribution

9 789778 326642

أترك الجمود و ابدأ التغيير

الفن و الأسلوب و التواصل

د. مهدي عامري[1]

١. د. مهدي عامري من مواليد مدينة فاس يوم ١٠ أكتوبر ١٩٨١ و يعمل حاليا كأستاذ باحث بالمعهد العالي للإعلام و الاتصال بالرباط (المغرب). يمتلك د. عامري خبرة مهنية في التدريس و التكوين الجامعي و البحث العلمي الأكاديمي و التنمية الذاتية و النشاط الجمعوي الثقافي و السينمائي تفوق ١٠ سنوات. عمل سابقا كأستاذ متعاقد و منسق تربوي بالمدرسة العليا للتواصل و الإعلانات بالدار البيضاء، و اشتغل أيضا في السنوات الأخيرة، كأستاذ جامعي بدوام كامل في مجال الإعلام و الاتصال بفرنسا. د. مهدي عامري كاتب و ناشر منتظم لمجموعة من مقالات الرأي و التنمية الذاتية إلى جانب القصص القصيرة بعدد من المنابر الصحفية الالكترونية العربية الرائدة (هسبريس، هافنغتون بوست عربي...) و هو حاصل على شهادتي الدكتوراه و التأهيل الجامعي في علوم الإعلام و التواصل في جامعة بوردو (فرنسا) و في كلية علوم التربية بجامعة محمد الخامس بالرباط.

قائمة المحتويات

عنوان النص	رقم الصفحة
أترك الجمود و ابدأ التغيير	٧
الحلم و الحب و الوطن	١٠
أحلام و آمال الربيع	١٤
الحياة و المشاريع	١٨
الرجل الذي لا يحب السياسة	٢١
بعيدا عن السياسة، قريبا من الحياة	٢٤
"جهاد" و بعض معاني الجهاد	٢٨
استراتيجيات التوازن اللغوي	٣١
مارس و المرأة وهمسات الحب	٣٤
التعليم و التربية و التطوع	٣٧
آفاق و حدود السينما	٤٠
السينما و ماما فرنسا	٤٣
الفن و الأسلوب و التواصل	٤٥
الخطة الخماسية لإدارة الغضب	٤٩
المثال و الابتذال في الفن	٥٢
الدين و تحديات العصر	٥٥
الصيام و إدارة الوقت	٥٨
عودة إلى "الصيام و إدارة الوقت"	٦١
الإرهاب و أسئلة العصر	٦٤
الصيام و الصحة و الصيف	٦٧
الانتخابات و المسؤولية الجماعية	٦٩
تأملات في مفهوم السعادة	٧١
الكسل و العمل و الأمل	٧٣
العيد و العرفان و العطاء	٧٥
العمل و القناعة و الأمل	٧٧
تأملات في فاجعة منى	٧٩
المال و الرزق و البركة	٨١
الحياة و السعادة و المجازفة	٨٤
تأملات في قيمة الحب	٨٦

العمل و الاستثمار و المستقبل	٨٩
تأملات في مفهوم البساطة	٩٢
تأملات في الثقافة المالية	٩٤
أحلام	٩٧
موسى و عيسى و محمد	٩٩
الدبلوم و الحياة و النجاح	١٠٢
ما معنى أن تحب عملك ؟	١٠٥
كيف تكون صانعا للتفاؤل ؟	١٠٧
بعيدا عن البحر	١٠٩
ما معنى الحياة ؟	١١٢
بصمات في الحياة	١١٤
ما معنى أن تكون سعيدا ؟	١١٦
زعماء الويب	١١٩
محمد.. صانع الأمل	١٢١
إلهنا واحد	١٢٣
أوتار الروح	١٢٥
راجعون الى الله	١٢٧
مسؤوليتنا على السوشيال ميديا	١٢٨
الحضانة ياما الحضانة	١٣٠
التسول بين التكاسل و التواكل	١٣٤

هذا الكتاب..

يضم هذا الكتاب ٤٧ نصا موزعا بين أجناس التنمية الذاتية و مقال الرأي و القصة القصيرة.

إن كتابة مواد "أترك الجمود و ابدأ التغيير" لم تكن وليدة الصدفة، و لكنها رحلة بين عوالم خفية من الحب و الألم و الأمل و الحلم بمستقبل أفضل. إن النصوص التي بين يديك عزيزي القارئ و التي كتبت في فترات متقطعة بين عامي ٢٠١٥ و ٢٠١٩ تعبير صادق عما اختلج في أعماقي في السنوات الأخيرة من عواطف و مشاعر و أحلام كلها مرتبطة بالتوق إلى الحرية و نشدان التغيير الإيجابي و البناء في كل مناحي الحياة. و لأن الكتابة في ذروة الألم بحث لا ينتهي عن المعنى و ملاذ أول وأخير في صحراء الحياة فإن هذا الكتاب جزء لا يتجزء من روحي و دعوة إلى المكاشفة و ممارسة الصراحة و الفعل الاجتماعي البناء عوض التبعية و السير خلف القطيع.

لا شيء يعادل متعة الكتابة و لذة البوح بعيدا عن الأحكام الجاهزة و قريبا جدا من جذور القلب. و لأني أتوق دائما إلى تشكيل الماضي و الحنين إليه و استرجاع لحظات تعبق بأريج الانطلاق و متعة أن يكون تفكيرك في يومك فإنه يشرفني أن أضع بين يديك نصوص هذا الكتاب، و كن على يقين صديقي القارئ أن كل نص هنا يتفاعل و يتحاور مع غيره على شاكلة نبضات القلب.

آمل أن يرفع كتاب "أترك الجمود و ابدأ التغيير " من جودة حياتك و أن يفتح أمامك آفاقا جديدة و رحبة للتفكير في كينونتك و في معنى وجودك بمعترك الحياة. و أتمنى أن يمكنك كتابي هذا من إعادة ترتيب أوراق حياتك و تنظيم أفكارك و مخططاتك نحو الأفضل.

إن هدفني من هذا العمل أن أصنع في أعماقك مزيدا من التفاؤل و أن أمدك بجرعة إضافية من السعادة و حب الحياة.

و أتمنى أخيرا أن يتحقق هذا الهدف و ربنا و خالقنا ولي التوفيق.

اترك الجمود و ابدأ التغيير

كيف تغير حياتك ؟ كيف تخرج العبقري المبدع النائم في أعماقك إلى الوجود ؟ كيف تسخر كل قوتك و طاقتك لتنزيل أحلامك على أرض الواقع ؟ كيف تنتقل من النظرية إلى التطبيق و من الحلم المجرد إلى التحقيق، و من القول إلى الفعل ؟ إن هناك مجموعة من الاستراتيجيات أدعوك إلى إتباعها و التقيد بها من أجل إحداث الفرق و التغيير في حياتك.

أكيد أنك من الذين يستهويهم التغيير الإيجابي في كل مناحي الحياة، وأنا أدعوك إلى التركيز معي و التمعن في تلاوة ما يلي.

عندما تركز قوتك و تفكيرك حول هدف معين فإنك حتما ستبلغه رغم كل التحديات. إن سبب فشل كثير من الناس في الحياة يعود إلى صب تركيزهم على أشياء تافهة و سطحية، و من الثابت أن تغيير الحياة يستلزم لحظة واحدة. في سرعة البرق، تقرر أن تهجر العادات السلبية القديمة و تشق الطريق نحو الجديد و الأفضل. إن دواعي أن تكون حياتك ذات جودة عالية كثيرة بل لانهائية، فكن من الأشخاص الذين يستجيبون لذاك المنبه الذي يجعلك في صميم نفسك تلتزم بحب الحياة و بإيقاظ تلك القوة الكامنة فيك والتي منحها إياك الخالق الكريم.

إن الأفكار و الاستراتيجيات التي تساعدك على تحقيق تغييرات نوعية في حياتك يمكن تجميعها في ثلاث خطوات.

تتمثل الخطوة الأولى في الرفع من السقف الذاتي للتوقعات أي تغيير النفس و مطالبتها بالأفضل و الأروع إضافة إلى التخلي عن كل ما هو سلبي في الحياة. الخطوة الثانية تتمثل في تغيير القناعات و المعتقدات التي تحول دون النجاح باعتبار أن القناعات هي ذلك الدافع الذي يمنح القوة و يؤسس للنجاح. و تشمل الخطوة الثالثة تبديل الاستراتيجيات، و هذا يعني أن تبحث عن قدوة تستفيد من نجاحاتها و تجاربها السابقة.

كيف تغير حياتك نحو الأفضل ؟ إنـي أدعوك إلـى إتقـان خمسـة استثمارات في الحياة :

١. إتقان الاستثمار العاطفي : و المقصود به تغيير الطريقة التي نحس بهـا و استخدام العواطف لمساعدة النفس بدلا من أن تكون عائقا أمام التغيير.
٢. إتقان الاستثمار البدني : يعني الاهتمام بالبدن و التمارين الرياضية من خلال تناول أطعمة صحية و الابتعاد عن كل ما هو مضر.
٣. إتقان استثمار العلاقات : أي المساهمة في تحقيق شـيء مختلـف و متميـز فـي حيـاة الآخرين.
٤.إتقان الأمور المالية : جعل المال وسيلة و ليس غاية لتحقيق السعادة.
٥.إتقان استثمار الوقت : استغلال الوقت بشكل مفيد كـي يكـون حليفـا لـك لا عـدوا و مدمرا.

أريدك أيضـا أن تتذكر شيئا فـي غايـة الأهميـة : " إذا لـم تكن لـك فـي الحيـاة أهداف و أحلام و استراتيجيات شخصية للنجاح، فانك حتما ستعيش في مشاريع الآخرين".

من المحزن أن لا نحلم. تعلم أن تحلم بصوت مرتفع. اكتب حلمك. و حولـه إلـى قرار صائب، بل إلى مجموعة من القرارات.إن القرارات الصائبة هي السبيل إلى القوة فكل شيء مفرح أو مزعج يحدث فـي حيـاة الإنسـان يبدأ بقرار، فلحظـة اتخـاذ القرار هـي لحظة حاسمة فـي الحيـاة. و بالتـالي فـإن مـا يقرر مصـير الإنسـان هو قراراتـه و لـيس حتما ظروفه.

إن الشخصيات العظيمة و الملهمة التي بصمت تاريخ البشرية كـان لـديها مـا يكفـي مـن القـدرة و الجـرأة علـى اتخـاذ القـرار. تومـاس إديسـون، مـارتن لـوثر كينـج، المهاتمـا غانـدي، نيلسـون مانـديلا، الأم تريـزا، هـؤلاء و آخـرون، فهمـوا جيـدا و بعمـق أن القرارات هي من تقف وراء المشاكل، كما تقف وراء السعادة.

و الآن، اسمح لي أن أتقاسم معك الصيغة المثالية للنجاح، و ذلك في أربع خطوات :
١.قرر ما تريد
٢.أقدم على العمل
٣.راقب مكامن النجاح و الفشل

٤.غير الاتجاه متى احتجت ذلك إلى أن تصل إلى ما تريد

التغيير يبدأ بالإرادة و اتخاذ القرار الحاسم الذي لا رجعة فيه ،من أجل تحقيق الأحلام التي تبدو صعبة المنال و لكن بالعزم و المثابرة و استغلال القوة الكامنة في الداخل يمكن تحقيق أحلامك بسهولة، و هذا هو سعي كل مثابر و راغب حقيقي في التغيير. إن التعامل مع المشاكل التي تعرقل حياتنا دائما ممكن. إن الألم يعود إلى طريقة تقييم الإنسان لمشاكله والتعامل معها وهذا ما يمكّنه من القضاء عليها و التخفيف من حدّة الألم الذي تسببه وهذا ما يميز الإنسان باعتباره كائنا عاقلا عن باقي الكائنات الأخرى، ففي نهاية المطاف قلوب الناس ورد الفعل الغريزي إزاء الألم والمتعة هي التي تقودهم في غالب الأحيان وليس إدراكهم.

طالع معي الآن الأركان الخمسة لحياة متوازنة و لمستقبل حافل بالنجاحات :

- ١. للتركيز أهمية قصوى في الحياة ونقصد هنا التركيز على ما نريد وليس على ما لا نريد، ولذلك ركز جيدا في الأهداف المراد بلوغها
- ٢. انتقل بعد ذلك إلى أهمية التفكير حيث أن أصل كل فعل هو التفكير
- ٣. سيطر على تواصلك مع الآخرين فهو مفتاح تحقيق نتائج باهرة بصورة مستمرة في الزمن
- ٤. الأشخاص الذين ينجحون هم من يتقنون التعرف على ما يميزهم عن بقية الناس
- ٥. أول مولد للتفوق هو الإيمان و هو عبارة عن مبدأ أو اعتقاد أو عاطفة مرشدة يمكن أن تمد المرء بمعنى للحياة، إضافة لكونه الخريطة التي ترشدنا إلى أهدافنا وهو كذلك القوة الموجهة للإنسان أينما كان.

أتمنى أن تكون قد قضيت معي وقتا مفيدا و ممتعا في قراءة هذه السطور، و أنا أشكرك من صميم قلبي للوقت الذي خصصته لاكتشاف استراتيجيات النجاح التي قاسمتك إياها. أشكرك بصدق، لأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله، و أشكر أيضا كل من ألهمني التعامل معه كتابة هذا المقال.

الحلم و الحب و الوطن

هذا المقال له علاقة بحب الوطن. هل تحبه ؟ هل يسكن هواه في أعماق قلبك ؟ ماذا فعلت من أجله ؟

الحياة أطوار و محطات و أحلام و سعي إلى المجهول، و عناق مرغوب أو غير مرغوب بأفكار و بأناس يغير اللقاء بهم مجرى القدر، و يسقط بفضلهم على الوجود، في أسعد الفرص، جميل المعاني، و رائع الأحاسيس، و قراءتي المكثفة لعدد من كتب تطوير الذات دارت أبرز مواضيعها حول الأهداف و القرارات و قوة التفكير الإيجابي و ضرورة أن يكون لكل واحد منا حلمه الخاص الذي يجعله قابلا للتحقيق بالعزيمة و العمل، منذ أزيد من خمس سنوات،هو ما يدفعني يا سادتي الأجلاء أن أكتب هذه الكلمات، التي أتمنى لها أن تكون مشرقة، و داعية إلى التفاؤل و نشر الخير و الحلم بوطن أفضل.

قبل أيام قليلة، سافرت من الرباط إلى فاس لواجب عائلي لا يقبل التأجيل، و صادف أن ركبت بعد أداء واجب العزاء، مع سائق تاكسي تجاذبت معه بعضا من أطراف الحديث. و تبين لي من مجمل ما دار بيننا أنه تعيس، على الأقل حسب تعبيره. لماذا و هو يشتغل أزيد من ١٥ ساعة على متن عربته و لديه ما يكفي من المال ؟ و هنا تذكرت جواب سائق تاكسي آخر، التقيته قبل ٧ سنوات و كان مزاجه أكثر سوءا و هو يقول : " هذا الوطن لم يفعل شيئا من أجلي. رغم شهاداتي العليا، أنا ملزم بالعمل كالعبد ساعات طويلة كل يوم لتحصيل لقمة العيش. لا أدعي أن الأرباح قليلة، بل العكس، لكن الحياة أصبحت صعبة و طلبات الزوجة و الأبناء لا تنتهي. الله يهديهم و صافي..."

و هنا قاطعته و الانفعال يعصف بكياني : " الله يهديك أنت آ صاحبي. باراكا ما تشكي، و أنت خدام ما ناقصك تا خير. شوف الناس لي ما لاقيينش الخدمة، و زيدون، كل واحد و كيفاش كيرزقو الله. كاين لي كايخدم بزاف، و كاين لي شوية. و ربي ما كاينسا تا شي واحد..." و أصارحكم القول أني لم أندم البتة على أني أفرغت عليه جام غضبي. لماذا ؟ أولا، لأني أعي كوني، رغم طيبوبة قلبي كما يقول كل من يعرفني، إنسان انفعالي و أني متصالح مع هذا الطبع الذي بذلت منذ سنوات مجهودا خرافيا لتغييره دون أن أفلح. ثانيا، لأن الحديث مع هذا الرجل هاجت له أمواج من الذكريات، ذكريات لا أستطيع نسيانها ما حييت.

تذكرت سنوات الدكتوراه في فرنسا، بين ٢٠٠٦ و ٢٠٠٩ ، بحلوها و مرها، دون أن أنسى المحطات الصعبة التي صنعت مني ذلك الإنسان الذي أصبحته : آلام المعدة الشديدة نتيجة التوتر و الإجهاد، و عدم القدرة مدة ٦ أشهر كاملة بعد مناقشة مشروع الدكتوراه على العثور الفوري على عمل بالجامعة، و تراكم الديون، و مساندة الأصحاب المقربين لي دون قيد أو شرط. مسلم و حذيفة و طلعت... و بسمة التفاؤل التي لم تفارق وجهي يوما، حتى في أحلك الأوقات، و٥٠ ساعة من العمل كل أسبوع بين توزيع الجرائد صباحا و خدمة الطلبة في المطعم الجامعي ظهرا، و كتابة بحث الأطروحة زوالا و مساء، ناهيك عن عدم الاستسلام لأوهام الراحة مطلقا و تخصيص الصيف كاملا للعمل بهدف ادخار نفقات بداية الموسم الجامعي. و هكذا كان الصيف يدور بين الفلاحة و تنظيف الاقامات السياحية و ركوب البحر للعمل على متن باخرة "بلادي" المسافرة آنذاك بين طنجة و سيت. لا و لن أدعي أني كنت بطلا، لكني و الحق أقول، كنت أنهك نفسي في العمل، مغذيا روحي بأمل العودة في أقرب وقت لأرض الوطن، و حلم الاستقرار و معانقة الجذور بين الأهل و أكبر عائلة أفتخر بالانتماء إليها : المواطنون المغاربة.

كان لدي حلم العودة إلى المنبت، و أن أدفع ببلدي و لو شبرا واحدا إلى الأمام...

و أنتم، ما هو حلمكم ؟ من منكم يهتف بأعلى صوته : حلمي أن يصير المغرب بلدا متقدما، ترتفع فيه نسبة التعليم، و يقل فيه الجهل، و تكثر فيه معدلات الشباب المتفائلين المقبلين على الحياة، و يصبح مواطنوه نموذجا في الأخلاق و التحضر و الإخلاص في المعاملات ؟

ما المعنى الحقيقي و العميق للحلم ؟ هل الحلم ترف ذهني أم ضرورة حياة ؟ هل تحلم مكتوم الأنفاس بين أسوار الخجل أو بالصوت المرتفع و التخطيط و الانجاز و العمل؟ ما هو حلمك ؟

من منكم يفكر : أنا حلمي العطاء و فيه أقصى لذتي، و هدفي الأسمى بناء الوطن ؟

من منكم يشمر عن ساعديه و ينخرط جسما و قلبا و عقلا و روحا في العمل التطوعي، و نيته أن يجعل أهل هذا الحي الفقير يتعلمون و يتنورون و يأكلون و يشربون و ينتجون و يحيون بشكل أفضل؟

من منكم يا مغاربة العالم، أيها المهاجرون المقيمون في أمريكا و أوروبا و آسيا، من منكم يعود إلى مشرق الأنوارو يسخر خبرته في التعليم و التطبيب و مساعدة المحتاجين و توجيه و تأطير الباحثين عن العمل ؟

من منكم يا أبناء بلدي و يا إخواني في الوطن يقرر : سأدلي بدلوي و أساهم في مسيرة التنمية، و سأدفع بوطني إلى الأمام، و لو شبرا أو شبرين، فذاك أحسن من لا شيء ؟

من منكم يساهم في توعية المجتمع بأساليب التواصل الوجاهي و على الشبكات ؟

أنا سأبني بالإعلام، و أنا بالجمعيات، و أنا بالاختراع، و أنا بالكتابة، و أنا بالموسيقى، و أنا بإتقان مهنتي كدليل سياحي أو فلاح أو بائع فواكه. هذه ملايين الأصوات لملايين المغاربة، و نحن نحلم بسماعها تدوي في السماء و تصلح وجه الأرض.

من منكم يقول :

لدي حلمٌ بأنه في يومٍ قريب سوف ينهض مغربنا ويحيي المعنى الحقيقي لمساواة الجميع أمام القانون.

لدي حلمٌ بأنه في يومٍ قريب، في مدن المغرب كلها، شمالا و جنوبا و شرقا و غربا، سوف يجتاز أبناءُ الفقراء و الأغنياء مباريات التشغيل في إطار المنافسة الشريفة و بنفس حظوظ النجاح المشروط أولا و أخيرا بمبدأ الاستحقاق.

لدي حلمٌ بأنه في يومٍ قريب، حتى البوادي و المناطق النائية التي لم تنل نصيبها الكافي في التنمية و التي تُعدّ صحراء تهميش قائظة بفعل تهاون السياسيين و لامبالاتهم ، سوف تتحولُ إلى أقطاب للجامعات و واحات للمعرفة و العلم.

إني مليء بالأمل، و لديّ حلمٌ بأن العلم مفتاح نهضة الأمم، و بأن طفلتي الصغيرة التي لم تكمل بعد ربيعها الثاني سوف تعيش يوماً ما في دولةٍ لا يُحكم فيها على البشر بمقدار ما في الجيوب من أموال و إنما على أساس الطيب و الحسن من الأقوال و الأفعال.

احلموا أيها الأصدقاء، إن ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات في الكون هو إمكان الحلم. إن هذا الإنسان الذي نفخ الله فيه من روحه و خلقه على صورته و أسجد لأبيه آدم ملائكته و فضله على كثير ممن خلق تفضيلا لهو المخلوق الوحيد الذي يستطيع استشراف المستقبل و أن يتخيل نفسه بعد عشرين أو ثلاثين عاما ، فلا تحرم نفسك من أهم خصائص النفس البشرية : القدرة على الحلم.

أحلام و آمال الربيع

هناك كثير من الناس، دعونا نضرب المثل بإخواننا في المغرب، يعتقدون أن الخيال و الحلم محدود بأحكام القضاء و القدر، و أن السعي إلى حياة تفيض خيرا و ثروة و صحة و عافية غير ممكن، بل مقرر سلفا، و أنك إن اجتهدت أو تكاسلت، فالنتيجة هي نفسها، و أن "دايم قليل و لا كثير و مقطوع". إني كسائر أبناء وطني، مؤمن بالإرادة الربانية العليا، لكني أومن أيضا أن الإنسان وهبه الله قدرة عظيمة : بناء المستقبل.

ها نحن نلتقي مجددًا للسعي إلى اكتشاف استراتيجيات جديدة للنجاح و الامتياز. كيف حالك، عزيزي القارئ، في مستهل مارس و نحن على مبعدة أيام قليلة من الحلول الرسمي لفصل الربيع ؟ هل معنوياتك مرتفعة ؟ هل روحك مشرقة و منغمسة في الدفء و العطاء مثل شمس هذه الجمعة المباركة ؟ أكثر من التفاؤل و الأمل في حاضر سعيد و في مستقبل كله إنجاز و عمل و ابتكار. أتدري بماذا يذكرني الربيع ؟ بشاب سليم البدن، قوي النفس، ملتهب العاطفة، همه الأعظم أن يبذل للغير و يبذر الخير و الحب و أسباب النمو و الازدهار.

أمضينا هذا العام شتاء قاسيا شديد البرد كثير المطر، و الآن، الربيع يطرق الأبواب، ليمد العباد قبل البلاد بكافة احتياجاتهم من طاقة و قوة و إقبال على الحياة، فهل من مستجيب ؟ الربيع، بل الحياة كلها رصيد قابل لأن ينمو، إذا أنت قررت و سخرت كل الجهود. أرجوك، اشحن الرصيد قدر المستطاع، بل أقصى ما يمكن، و لا تعرقل نفسك بالمثبطات. لا تعتقد أن القليل يكفي ما دمت قادرا على الاستزادة. امض قدما. توغل و توكل، و أخرج إلى الوجود أفضل ما لديك.

قبل أسابيع قليلة، عندما أتيح لي شرف مخاطبتك من خلال مقالي السابق " أترك الجمود و ابدأ التغيير" المنشور في عمود "كتاب و آراء" بتاريخ ٣٠ يناير ٢٠١٥ ، كانت تختمر في ذهني أفكار كثيرة و سيل من التساؤلات :

هل أمضي قدما في تعريفك بأهم خطط النجاح و وصفاته السحرية، القابلة بطابعها الخالد في كل زمان و مكان، للتطبيق و الإسقاط المباشر على حياتك الشخصية و

المهنية ؟ هل هذه الخطط هي ما يحتاجه فعلا كثير من الناس ؟ هل أتوسع في إطار هذه السطور، التي أعتبرها أولا و قبل كل شيء، رسالة من قلبي إلى قلبك، في شرح خطوات للنجاح لم نتعرف عليها بعد، و تسليط الأضواء على مزيد من الأركان لحياة عنوانها التوازن و الإبداع ؟

إن صوتا داخليا قويا يهتف بي : افعل ذلك و الآن !

اسمح لي أن لا أطيل عليك أكثر بهاته الأسئلة أو سواها، فوقتك ثمين، و لدي إحساس عميق أنك تريد أن ندخل مباشرة في صلب الموضوع. فليكن ذلك، بعد إذنك طبعا، و لنسافر معا، إذا وافقت، في رحلة جديدة، و لنتعهد بالإجابة، معا، أنت و أنا، عن هذا السؤال : كيف تبني مستقبلك ؟

وحدك تستطيع التحكم في نتائج المستقبل، بعد الله سبحانه و تعالى، و إذا أردت تغيير مستقبلك فان عليك تقبل مسؤولية ما آلت إليه الأمور و ما استطعت الحصول عليه في الوقت الحاضر دون لوم الآخرين، فنحن جميعا قد منحنا الخالق الكريم مواهب و مستويات متكافئة من تقدير الذات، لكن هناك من استغلها و طورها بشكل إيجابي، و هناك آخرون تركوا هذه المواهب، و القدرات، جامدة بلا تفعيل.

إن الأشخاص الذين يتعثرون في حياتهم هم الذين تتوفر لديهم كل مقومات النجاح و لكنهم يقفون في انتظار أن يطرق الحظ أبوابهم. و الحال أن الحظ لن يقبل أن يزورك لا في البيت و لا في العمل و لا في الشارع، و لا في بداية أو نهاية علاقة من العلاقات، إذا لم تكن مستعدا للتغيير، في صميم فؤادك و أعماق روحك، و بكل ما أوتيت من قوة. و الآن دعني أبادرك بهذا السؤال : كيف تدفع بسفينة المستقبل، في خضم التجارب و الإخفاقات و المحاولات المتكررة لبلوغ الأفضل، إلى بر النجاح و الأمان ؟

التخطيط الجيد، الأفعال السليمة، القرارات الحازمة... كل ذلك مطلوب، و جيد، بل ممتاز، لكنه غير كاف. لماذا ؟ لأن ما ذكرناه إذا لم يصاحبه تقدير حقيقي للذات، فإنه حتما سيكون آنيا و غير مستمر في الزمن. إن تقدير الذات هو حجر الزاوية في كل مشروع إنساني يراد له استيفاء جميع الأهداف التي انبنى عليها منذ أن كان في المرحلة الجنينية قبل أن يخرج إلى الوجود. إن الصفة المشتركة في الأشخاص الذين

يحققون أهدافهم في الحياة تكمن في وضع الأهداف و الأحلام نصب الأعين و التوقع الدائم للأفضل. و لكن ماذا عنك أنت ؟

اعلم أنه عندما تتوقع النتائج الايجابية فسوف تعمل بشكل واع أو لا واع،على خلق الأحداث التي تساعدك في الحصول على هذه النتائج، و عندما تتوقع أقل من الأفضل فانك تضع نفسك في مواقف تجعلك تقبل بأقل مما كنت تريد تحقيقه. فلماذا إذا نلزم أنفسنا أحيانا، أو في أغلب الأوقات،على أن نقبل في حياتنا شيئا غير الأفضل ؟

اسمح لي، يا عزيزي، أن نتفق على مسألة شديدة الأهمية : أن نرفع من السقف الذاتي للتوقعات لتحقيق أقصى عدد ممكن من الأهداف، و بذلك نستطيع أن نمنح المزيد من الحب و الصداقة و العاطفة و الاهتمام و المال للعائلة و الأصدقاء.

كيف تبني مستقبلك ؟

إليك الأركان الخمسة لبناء المستقبل:

١. القدرة على التحكم
٢. تحمل المسؤولية
٣. التخطيط الجيد
٤. تقدير الذات
٥. تحديد الأهداف

الحديث معك، عزيزي القارئ، ممتع و شيق لكني أستسمحك في إضافة ركن سادس للأركان الخمسة لبناء المستقبل (المشار إليها أعلاه). فما هو هذا الركن السادس ؟

إنه، و بكل بساطة كلمة واحدة : التفاؤل.

إذا كنت من الأشخاص الذين يحبون تدوين ما تعلموه من جديد الأفكار، فخذ ورقة و قلما و سجل...

تقتضي فلسفة التفاؤل بالنسبة لي :

-أن أكون قويا لكي لا يتمكن أي شيء من إحباطي أو التقليل من شأني
-أن أتحدث مع أي شخص و أنا أشعر بالسعادة و الصحة
-أن أنظر إلى الجانب المشرق من أي شيء، و أن أجعل وجهة نظري المتفائلة تصبح حقيقية
-أن أفكر في الأفضل و أعمل من أجل الأفضل، و أتوقع الأفضل
-آن أسعد بنجاحات الآخرين كما أسعد بنجاحاتي
-أن أتحرر من أخطاء الماضي و أعمل على تحقيق انجازات أكبر في المستقبل
-أن أتسم بالمرح في كل الأوقات و أعمل على تحقيق انجازات أكبر في المستقبل وامنح الابتسامة لكل شخص أقابله
-أن أسخر الزمن لتحسين قدراتي الذاتية لدرجة تجعلني لا أجد وقتا لانتقاد الآخرين
-أن أتسم بسعة الصدر للتغلب على القلق و أضبط نفسي لكي لا أستسلم للغضب

أحس أني قضيت معك وقتا كله تعلم و فائدة و أننا تعرفنا بشكل تدرجي و جميل على الأركان الستة لبناء المستقبل. الآن، إلى أي مدى ستذهب في الالتزام بهذه الأركان ؟ وحدك تملك القرار، و ما تفعله بهذه الأركان راجع إليك مطلقا. و عندما تنتهي من تلاوة هذا المقال، فاعلم أني ممتن لك و للوقت الذي أنفقته في التواصل معي.

و إلى أن نلتقي مرة أخرى، رعاك الله و حماك و بارك فيك.

الحياة و المشاريع

إذا افترضنا أن الشاحنة التي صدمت حافلة الأطفال الرياضيين بطانطان سارت منذ البداية في مسارها الصحيح، و تحلى سائقها بقليل من التركيز و اليقظة، هل كان سيقع ما وقع ؟ إذا افترضنا أن قانون السير ببلادنا تم احترامه بل تقديسه من قبل السواد الأعظم من السائقين المغاربة هل كان لطرقاتنا أن تصبح مسارح لموت الآلاف كل عام ؟ إذا افترضنا أن فريقا لكرة القدم مني أمام الخصم بهزيمة ساحقة فإن ذلك راجع تقريبا إلى ما يلي : أربعة فقط من اللاعبين الأحد عشر يعرفون أين يقع مرماهم؛ اثنان منهما فقط يهتمان بالمباراة؛ اثنان فقط يعرفان دورهما في المباراة و ماذا يفترض بهما أن يفعلا بالتحديد ؛ و جميع اللاعبين عدا اثنين منهم قد يلعبون ضد فريقهم بدل منازلة الفريق الآخر. هذه الافتراضات من شأنها أن تحرك فينا جميعا مزيدا من الانتباه إلى مسائل في غاية الأهمية: كيف نعمل ؟ كيف نتحرك ؟ وفق أي خطة نسير ؟ الانخراط في العمل جيد لكن من منا له برنامج واضح و خارطة طريق ؟ ما الفرق بين العمل الروتيني و المشروع الممنهج الجاد ؟ كيف لنا أن نتأكد أنك ستنجح في إدارة الحياة و المشاريع، الاثنان في الوقت نفسه ؟

نريد أن نصف لك الوصفة السحرية لنظام يسمح لأي كان أن ينجح في كلا الجانبين : الحياة و المشاريع. قبل أن نعمل على ذلك، دعني أسألك : ما الأكثر أهمية بالنسبة لك ؟ الحياة أو المشاريع ؟ أي منهما ؟ ربما تجيبني: الحياة... و لكن أغلب الناس الذين أعرفهم يعتقدون أن الأهم هو المشاريع. ليس هكذا يعيش الكثير من الناس، معظم الناس يختارون المشاريع، و لأنهم يختارون المشاريع يستيقظون و لديهم رغبة مجنونة في العمل و الإنتاج و مضاعفة الأرباح، معتقدين أن ذاك هو ما يؤسس لمعادلة صحيحة في الحياة، بعبارة أخرى أن ذاك هو أولوية الأولويات، و لو كان هذا النجاح المادي في الواقع يوازيه إهمال للعائلة، أو للتمارين الرياضية أو لمتع الحياة البسيطة، أو لسويعات الراحة و التنزه و التأمل في جمال و أسرار الكون، أو لكل هذه الأشياء مجتمعة...

أنا على يقين أن كل هذا مفهوم جدا بالنسبة لك، و أنك مثلي تؤمن في أعماق روحك أن سر النجاح هو الاعتدال؛ أي التوازن الكامل بين العقل و البدن و العاطفة و الروح، و لكن المفارقة أن ما يجعلك ناجحا ربما لا يجعلك كاملا، فهناك توجه كبير في ثقافتنا

المتـأثرة يومـا بعد يـوم بالأسـلوب الغربـي فـي الحيـاة نحـو السـعي إلـى مـا هـو نـاجح باعتبـاره ماديـا فقـط. نحـن نعتقـد أن المـال و الأربـاح و المكافـآت كـل ذلـك سـيمنحنا الحرية، لكن كم عدد الأشخاص الناجحين في العمل و الأحرار في الوقت نفسه ؟ كم عدد المهنيين الذين لا يمنعهم الجلوس في المكتب لساعات طويلة، تزيد كل يوم على العشرة، من ممارسة الرياضة أو الهواية التي يحبونها؟ كل الناس المحيطين بنا، كل مهني منتج و فعال، كل من راكم بعرق الجبين و التفاني في العمل رأسمالا يفتخر به... كل هؤلاء يعلموننا درسا بديهيا لكنه في منتهى الأهمية : كلما كان عملك ناجحا كلما تطلب منك المزيد من الاستثمار الذهني و البدني... كم منكم مر بهذه التجربة ؟ الكثير منكم يعيش عبر أسلوب في الحياة يركز على الحصول على مشروع لا يعكس بالضرورة طبيعتك الحقيقية، هذا لا يعني أنه لا يمكنك القيام به، بل يمكنك القيام به و لكن في أجواء من التوتر و الضغط النفسي و تشتت الانتباه.

من منكم يكن صريحا مع نفسه و يعترف أن عمله كمهندس أو أستاذ أو طبيب كان بالأساس لنيل رضا الوالدين و أن الموهبة الحقيقية هي ربما مشروع رسام أو نحات أو شاعر أو عازف بيانو ؟ أتفق معك أن الحياة صعبة و أنه بالمال يشترى الخبز، و أن كثيرا من الأحلام و الآمال ذهبت أدراج الرياح لقلة التشجيع أو لضيق ذات اليد... كم منا إذا يحيا و يعمل و يدب على وجه الأرض، لكن موهبته الحقيقية ماتت و أقبرت منذ زمن بعيد ؟

ما هو الأهم بالنسبة لك ؟ تخيل أمامك معترك الحياة / الزمن. أين أنت ؟ أين تريد أن تذهب ؟ ما الذي سيصنع لك حياة استثنائية ؟ هل هو التدفق النقدي ؟ هل هو الحب ؟ هل هي الصحة و العافية ؟ هل هي العلاقات الدافئة مع العائلة و الأصدقاء ؟ هل هو الزهد و التجرد من الماديات ؟ هل هو عمل و تحصيل و قناعة بالقليل و رضا بالتنزيل ؟ هل هو الإتقان في العمل و الأمل في الأفضل ؟ هل هو الحلم بغد أجمل ؟ حين ندخل حلما معينا فإن هذا الأخير يبدأ بتكوين حياة خاصة به مما يعطينا الطاقة و الحيوية. كم منكم كان لديه حلم و حقق هدفه ثم فكر : هل هذا هو الأمر كله ؟ هذا أكثر ألما من عدم تحقيق الهدف. لماذا ؟ لأنك فعلت كل شيء و بذلت كل الجهود و سخرت كل الطاقات و القدرات ثم أصبحت ناجحا لكن ليس سعيدا... و على فكرة، فإن معظم الناس ليسوا رجال أعمال، لكن الجميع تقريبا يعتقدون أن هذا ما يجب أن يكونوا عليه. إنهم يعتقدون أن هذا هو الشيء المثير و الأكثر جاذبية.

و الآن، قبل أن أنهي هذا المقال، دعني أسألك: ما الذي سوف يجعلك تشعر بالكمال حقا ؟ ما الذي سوف يمنحك هذه الحياة الاستثنائية ؟ ما الذي سيجعل الأشياء تبدو رائعة من وجهة نظرك الشخصية و ليس من وجهة نظر شخص آخر ؟ ما هي موهبتك ؟ هل أنت فنان ؟ هل أنت موهوب قادر على صنع و ابتكار شيء لم يصنع من قبل ؟ هل لديك مهارة أو منتوج أو خدمة ما بمواصفات فريدة ؟ هل أنت ماهر في الإدارة ؟ هل تعرف كيف تقود و تدير الناس ؟ هل أنت عاشق للمغامرة و المجازفة و التضحية "بالدايم القليل" في سبيل مجهول لا تدري له شكلا أو حجما أو قيمة أو متى أو كيف سيأتي ؟ ربما تكون لديك كل هذه القدرات، لكن أي منها سيشعرك بالنشوة و الكمال بالشكل الأكبر ؟

هذا هو السؤال الحاسم...

الرجل الذي لا يحب السياسة

" لا أحب السياسة و أخبار الحروب و الفتن و القيل و القال و المزايدات الكلامية و الملاسنات بين الأحزاب أو الأشخاص.. إني أستغرب كثيرا من الناس الذين يمضون بياض نهارهم و سواد ليلهم في تلقف الأحداث السياسية في التلفزيونات الفضائية. في الحياة، أليس ثمة أشياء أهم ؟ هل انعدمت الهوايات و الاهتمامات الأخرى؟ "

ما أجمل الحديث معك، فأنت الصديق رقم واحد بلا منازع؛ حكاياتك كلها تشويق و إثارة، و بفضل صحبتك تأكد لي أن الناس هم أعظم الموارد. عمن أتحدث ؟ عن فريد، بلا شك. يقول فريد : " هل تذكر نهاية التسعينيات من القرن الماضي ؟ هل تذكر عندما ابتهجت بالشكل الجذاب و الوظائف المميزة لهاتفك المحمول ؟ لعلك كنت واحدا من أولئك الذين سرق محمولهم في الحافلة أو السويقة أو في راس الدرب، و لعل ذلك خلف في نفسك بعض الاستياء أو كثيرا منه، فليس هاتفك الجديد الذي سرق بل عالم متشابك من الأرقام و الأشخاص و الصداقات و القرابات و العلاقات المهنية. كانت الموضة في نهاية التسعينيات، أذكر ذلك جيدا، التباهي بالبورتابل، و كان "جزاء" بعض المتباهين ضياع هذه العلبة الثمينة برصيدها العلائقي، أولا و قبل كل شيء، على يد سارق محترف... إن فقدان الناس الذين نكن لهم فيضا من العاطفة و الحب لأفدح و أصعب، فقدر الأشياء الزوال و الاندثار، و عندما نتمسك بما في حوزتنا فإن ذلك آية على الفقر ؛ الغنى الحقيقي هو الإنسان، و أكبر أزمة ضياع الإنسان.

لدي خطة من خمس نقاط للتغلب على أزمات الحياة. قبل أن أتقاسمها معك، هل تأذن لي أن أطرح عليك مجموعة من الأسئلة ؟ إذا وافقت، أجبني بكل صراحة : كيف ستعيش السنوات العشرة القادمة من حياتك ؟ ما الذي ستدافع عنه ؟ ما هي الأمور المهمة بالنسبة لك على المدى المتوسط و القصير ؟ ما هي الأفعال التي تستحق أن تلتزم بها مساهمة في تغيير مصيرك النهائي ؟ كيف يمكن لك أن تصمد في أوقات الأزمات (و ما أكثرها)، و ما هو سلاحك في ذلك ؟ هل أنت من الأشخاص الذين يرون النصف الممتلئة أو الفارغة من الكأس ؟ هل تؤمن مثلي أن الفشل ليس له

وجود و أنه ثمة نتائج لقراراتنا... نتائج فحسب ؟ ما أهمية الحزم و القرار في حياتك ؟ هل تمتلك بوصلة للقيم ؟

أفترض أنك أجبت عن أسئلتي و أنا ممتن لك و أشكرك من أعماق قلبي. و الآن ها هي ذي بين يديك خطتي الخماسية للتغلب على أزمات الحياة... على الرغم من وجود سكن لكل منا، إلا أن سمات حياتنا ترتبط بسكننا الانفعالي. الأشخاص الغاضبون يجدون سببا للغضب حتى مع عدم وجود سبب للغضب. التعساء يجدون سببا ليكونوا تعساء و لو لم يكن هناك أي داع للتعاسة. من يهتم بالآخرين سيواصل هذا الاهتمام... في صغري لم يكن هناك انترنت، و كنت اذهب للمكتبة لكي أغذي عقلي و دائما كنت أقول أن الوقت الفارغ يأكل حياة الإنسان كما تأكل النار الحطب. و ذات يوم قال لي أحد المعلمين (أحرس باب عقلك و غذه بشيء جديد كل يوم). و مرت الأعوام بسرعة البرق، و ظلت نصائح معلمي حاضرة في وجداني مثل الحقيقية الدينية الساطعة :

١- غذ عقلك كل يوم على الأقل ثلاثين دقيقة بالقراءة أو الاستماع لشيء مفيد
٢- يجب أن تعمل على تقوية جسدك لأن الخوف جسدي، و كذلك الخمول و الغضب و الحزن و فقدان الأحاسيس. عندما يتغير جسدك بالتمرين المكثف أو الجري أو حتى بالمشي الكثير فان ذلك يضخ الدم، فالعلم يقول أن ذلك يغير على الفور من الكيمياء الحيوية لجسمك. لا تنس شيئا مهما : بالتمارين البدنية المستمرة في الزمن عقلك و جسمك سيعملان معا
٣- الرابط المشترك بين كل الناجحين في العالم هو أنهم وجدوا مهمة أكبر من أنفسهم. لقد وجدوا شيئا يطمحون في الوصول إليه، شيئا يستحق أكثر من الألم الذي يعانونه. إذا كان هناك شيء تريد أن تحسن نفسك فيه، فتخيل وجود ثلاث دعامات رئيسية له : الدعامة الأولى هي الوضوح و التركيز. الدعامة الثانية هي الدافع الشخصي. بعبارة أخرى، ما هو الشيء الدافع بالنسبة لك ؟ الدعامة الثالثة هي الهدف، أي ما هو وضعك الحقيقي دون أن تكذب على نفسك ؟ أين تريد أن تكون ؟ اجعل الأمر دافعا لك بحيث أنك لا تطيق الانتظار إلى الصباح حتى تغير منه.
٤- يجب أن تبحث عن قدوة. معظمنا يبحث عن قدوة يحتذي بها ليجعل الحلم واقعا. وجود مثل أعلى يساهم في تجسيد الحلم، و إذا كان لديك خطة لتحقيق أهدافك فانك حتما ستتبعها.

٥- هناك دائما شخص أسوأ منك، من هو وضعه أصعب بحيث يكون الأمر مدعاة للرضا بواقعك الحالي على المستويات الفيسيولوجية، العاطفية، المادية، المهنية، و غيرها ، و بناء على هذا إذا كان بمقدورك أن تساعد شخصا ما وضعه أسوأ من وضعك فإن ذلك يهون عليك مشاكلك و عجزك و يغمرك بلذة قصوى : العطاء. هذا يذكرك أيضا أن الحياة لا تعني أنا فقط، الحياة تعني نحن جميعا. إن سر الحياة يكمن في السير نحو حياة عظيمة و ذلك يبدأ حتما بالعطاء. عندما تدرك أنه لا يزال هناك شيء لتعطيه، حتى إذا فقدت رجلك أو كنت في ضائقة مالية، فان حياتك من الممكن أن تتحسن. لكن المهم أن حياتك سيكون لها معنى لأنها ستساهم في حياة الآخرين."

بعيدا عن السياسة، قريبا من الحياة

تبدو صورة العالم الإسلامي منذ مستهل الألفية الثالثة إلى اليوم في غاية التخلف، بحيث ما زال ملايين المسلمين من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهندي، و من أدغال إفريقيا إلى جنوب شرق آسيا يعانون الجوع و الأمية و الجهل، و تتفشى فيهم الحروب الأهلية و التعصب الديني. في بعض البلدان الإسلامية تمنع المرأة من قيادة السيارة، و تطبق الشريعة تطبيقا أعمى دون أي تحيين و مواكبة لمستجدات العصر، ويضيق على معتنقي ديانات أخرى غير الإسلام، و يحرم الحب، و يجعل من النقاب الركن السادس في الإسلام، و يلتئم شمل المسلمين عندما يتعلق الأمر بالحرب على بلد شقيق، و يخلط عمدا بين الإرهاب و الدين، و يتحكم بمصير المسلمين براميل النفط و ناطحات السحاب المغروسة في أعماق الصحراء، و يقتتل أبناء الدين الواحد من شيعة و سنة، و يلبس بعض الصعاليك و من تبعهم رداء الجهاد بجز الرؤوس و حرق الأحياء و تشويه حقيقة الحنيفية السمحاء. إن هذا الوضع مثير للغثيان، و لا يفتح شهية أحد لمشاهدة مزيد من العنف و القتل باسم السياسة أو الدين على اليوتيوب أو القنوات الفضائية. لا نريد أن نتحدث، في هذا المقال في هذا أو ذاك؛ لنسافر معا في رحلة شيقة نتعرف من خلالها على أهم الأسس لبناء الجسم السليم.

في مثل هذا اليوم، أي في ٣٠ مارس من عام ٢٠١٠ (تاريخ كتابة هذه السطور)... قبل ٥ سنوات، هناك، في الضفة الأخرى للمتوسط، بل في أقصى شمال فرنسا، ردد على مسامعي صديق، تفصلني عنه اليوم آلاف الكيلومترات ما يلي :

" نظريتي في الحياة تسمى يمين / يسار، لأنه وحده الأوتوبيس الذي يمضي رأسا إلى وجهته..."

يمين / يسار ؟ الأوتوبيس الذي يمضي في طريقه رأسا، حتى يكاد في أسوأ الحالات، يدهس أحد المارة، أو يرتطم بحاجز صخري أو حائط ؟ ما المقصود من كل هذا ؟ ما الهدف ؟

مهما كانت المرحلة العمرية التي نحن فيها، فان الأسس التي سوف نتحدث عنها، ستصنع الفرق في حياتك. لكن عليك أن تقرر بنفسك ما هو صائب بالنسبة لك. فكر أن هذا أمر غير مؤكد، لكن يجب إدراكه بشكل كامل. فكر أن ما يبدو لك صعبا هو في الحقيقة سهل ميسور إذا أنت تصورته على هذا النحو. إن الطريق إلى التحقيق و الانجاز الفعلي هو الإدراك الصافي و تقسيم الصعوبات، على الأقل ذهنيا، إلى مجموعة من الأجزاء المتماثلة و المثالية الحجم، و التي يسهل عليك تناولها. إن العلم الحديث، أثبت أن العقل البشري يدرك بالكاد ٧ أو ٨ شرائح من المعلومات في وقت

واحد، و عليه فإن السبيل إلى الإنجاز الصحيح لأعمالك، لمشاريعك، لمخططاتك بل حتى هواياتك و أنشطتك التي تبدو للآخرين الأقل أهمية... السبيل إلى ذلك هو تجزيء المعلومات التي يستقبلها و يعالجها ذهنك. إن ذلك مشفوع طبعا بالالتزام و التخطيط الاستراتيجي.

بين ٢٠٠٩ و ٢٠١١، فرضت علي ظروف العمل و السكن في فرنسا نوعا من العزلة، و قاومت ذلك بداية بالشراهة في الأكل، و هو ما يسميه المختصون في الأنظمة الغذائية و الحمية بالوجبات العاطفية. لكن سرعان ما أصابني الندم، لأني أصبحت بدينا و كان يتعذر علي إيجاد ملابس تناسب مقاسي الجديد، و دارت الأقدار دورانها السحري، و ألهمني التعارف مع جميلة الجميلات، أي زوجتي حاليا، أثناء فترة الخطوبة، التسجيل في نادي رياضي كان على مبعدة ١٠٠ متر من شقتي الصغيرة في ضاحية نانسي، بالشمال الفرنسي و عكفت على ممارسة الرياضة في حماس أشبه ما يكون بمن نذر نفسه لمشروع روحاني. و نجحت، أقولها دون غرور أو رغبة في التباهي، في الوصول إلى الوزن المثالي، بخسارة أزيد من ١٥ كيلو في غضون شهور قليلة. و أصبحت بدنا و روحا و عاطفة أنبض بالطاقة و التفاؤل.

و دارت الأقدار مرة أخرى دورتها العجيبة الحبلى باللقاءات السعيدة مع أعز الأصدقاء، و قابلت أناسا كثيرين، وكان منهم أصحابي المقربين الذي أطلقوا علي، بكثير من الود، لقب (مسيو ربيد)، وكنت أقول لهم : "شكرا على ثقتكم في شخصي المتواضع، فذلك شرف كبير لي. لست سريعا إلى هذا الحد، لست (مسيو ربيد) كما تقولون لأني كتبت رسالة الدكتوراه في عامين و نصف بدل ٣ أو ٥ سنوات... لست (مسيو ربيد) لأني تخلصت من الوزن الزائد في زمن قياسي، و لكن، و بكل صدق، المسألة و ما فيها كلمة واحدة : الالتزام. و دعوني، من فضلكم، أضيف إليها قيمة ثانية : الإيمان بالهدف... أصدقائي، هل تعلمون ما الذي يجب عليكم فعله للظفر بحياة كلها نشاط و إبداع ؟ التقيد بالتمارين الرياضية و خسارة بعض الوزن.

إن تعاليم خبراء التداريب الرياضية و التنمية الذاتية الأكثر شهرة و تأثيرا على الصعيد العالمي، تتخلق و تلتمع في ذهني مثل الحقيقة الساطعة، و معها رغبة جامحة في تقاسم هذه التعاليم مع أكبر عدد ممكن من القراء. بعض الناس أو أكثرهم في عالمنا الاستهلاكي، منهكون للغاية. كيف يمكن أن تكون هناك عاطفة إذا كنا منهكين للغاية ؟ سيقول بعضنا : سأتبع خطة و أسجل نفسي في أقرب وقت في النادي الرياضي...سأركض مرتين كل أسبوع في الغابة رفقة صديق أو اثنين...سأجد أفضل المدربين، ثم يمر أسبوع و ربما شهر أو ٣ شهور و نجد أنفسنا ما زلنا نخطط. هل الأمر صعب لهذه الدرجة ؟

سادتي، مع كامل احترامي نحن لا نحتاج مدربا أو زعيما روحيا أو عصا سحرية... و لا خاتم سليمان و لا دواء عيسى (عليهما السلام)... نحن نحتاج شخصا يقف خلفي أو خلفك و يصيح بأعلى صوته : تحرك، اركض ! نحن لا نحتاج إلى خطة طويلة الأمد، إن الخطوة الأولى المرهونة بمسلسل منتظم و ملتزم من التداريب، ذلك ما نحتاج إليه... نحن نعيش في مجتمع قتله الاستهلاك، و لم يعد فيه أحد يتحرك.

أكل و عمل في المكتب و نوم و جمود. ماذا نشبه اليوم ؟ الكثير من الناس يصابون في أجسادهم ليس لأن التواء بالكاحل كان نصيب فلان أو آخر في مباراة لكرة القدم، و لكن لأنهم يكتبون على الحاسوب ١٠ ساعات كل يوم، أو يريدون أن يلتقطوا قلما وقع أرضا بعد ساعات جلوس طويلة فيكون الثمن تفككا مفاجئا في أحد المفاصل.هكذا يصاب الناس اليوم. إن كثيرين منا نسوا أن أجسادهم ماكينات يطالها الصدأ إن لم تتحرك.

تعد الفسيولوجيا أقوى أداة لدينا لتغيير حالاتنا من أجل الحصول على نتائج باهرة، وهناك قول مأثور يقول: " لو أردت أن تكون قويا، تظاهربأنك قوي". ولكي نستطيع فعل ذلك، لابد لنا أن نكون في حالة فسيولوجية رائعة. ممتاز، و لكن ما هو حال و شكل حياتنا في المدن ؟ نحن نعيش داخل صندوق. فكر معي في حياة اليوم، و كيف أنها مختلفة عن الطريقة التي خلقنا أصلا لنعيش بها، لنركض، لنصطاد، لنعمل، لنتوالد، لنربي أطفالنا، لنتحرك، لنستخدم جسدنا بالكامل. حياتنا في المدن الحديثة لا تشبه بتاتا حياة أجدادنا في الحقول و أوراش النجارة و الحياكة و فضاءات الصناعات التقليدية. قبل عقود قليلة، كان السواد الأعظم من المغاربة يعملون في الحرف اليدوية، و نتيجة لذلك يتحركون أكثر. هل تشاطرني الرأي ؟

اليوم كيف نحيا ؟ نستيقظ كل صباح...إفطار سريع و معلب، سيارة معلبة، ذهاب إلى مكتب معلب، ركوب مصعد معلب، في كثير من العمارات الحديثة البناء، لا أحد يستخدم السلالم . تذهب إلى مكتبك المعلب، تكتب على حاسوبك المعلب. و تستخدم هاتفك المعلب، تجري الاجتماعات في غرفة معلبة، تستمع إلى الموسيقى في صندوق معلب، تتناول غذاءك المعلب، تعود إلى منزلك المعلب، على متن قطار معلب أو سيارة معلبة، ثم تشغل تلفازك المعلب، حياة معلبة. لعبة اليومي علب لا تنتهي... ترسل رسائل قصيرة من هاتفك المعلب، و ربما فعلت ذلك و أنت تتناول علبة من رقائق الشيبس.

هذا هو العالم الاستهلاكي الذي نعيش فيه اليوم، و ليس من الصعب معرفة لماذا يزداد وزننا و لماذا نشعر بالإرهاق...و تضخم بعض مناطق الجسد، و كميات

الدهون الزائدة التي يتقاسمها، عبر أرجاء المعمور، ملايين من الناس. و هنا أتذكر حديثا لي مع صديقي إبراهيم عام ٢٠٠٧ ، أثناء سهرة جمعتنا في الحي الجامعي ببوردو ربيع العام نفسه. قال إبراهيم : " على فكرة، دمك خفيف يا مهدي، و نحن في أذربيجان نشبه كثيرا المغاربة : نحب الأكل الدسم و الحلويات، و أغلب الأمهات بدينات. منذ أن أبصرت النور، و أمي (و هنا اغرورقت عيناه بالدموع لأنه كان كثير التعلق بوالدته) تتعايش مع بدانتها في استسلام تام و دون أي مشكل. أنا شخصيا لا أتصور أما نحيفة. مستحيل..."

إن حياتنا السريعة جعلت طعامنا تنقصه الطبيعة و الحيوية. أعتقد أننا إن عدنا لطبيعتنا و التزمنا بها يمكن أن ننجح. إن ٨٠% من النجاح في أي عمل هو نفسي و ٢٠% فقط تقني. معتقداتك تقود قراراتك، و إذا اتخدت قرارات مختلفة ستقوم بأفعال مختلفة، هل تتفق معي ؟ قرارات حازمة حيال ما تؤمن به، حيال الصحة و الطاقة و العافية. إلى أي مدى سيكون ذلك هاما بالنسبة لك ؟ لن يتعلق الأمر بالتخلي عن كل شيء، فالمطلوب في حياتك أن يكون كل شيء متوازنا. ليس عليك أن تكون متطرفا، و لكن عش بنظرية الأشخاص المرنين في الحياة.

في مثل هذا اليوم، أي في ٣٠ مارس من عام ٢٠١٠، ردد على مسامعي صديقي فؤاد الذي تفصلني عنه اليوم آلاف الكيلومترات كلمات ما زال لها في أذني رنين أشبه ما يكون بالسحر:

" نظريتي في الحياة تسمى يمين / يسار، لأنه وحده الأوتوبيس الذي يمضي رأسا إلى وجهته، و إذا غير الاتجاه فنادرا ما يحصل ذلك... أنا أعيش وأعطي نفسي الفرصة لألعب و أستمتع. لقد تطلب مني الأمر سنوات حتى أصنع التغييرات الأساسية في نواحي حياتي، لقد نضجت قليلا، و أصبحت إلى جانب تماريني الرياضية القاسية أحيانا (على الأقل في نظر البعض)، أسمح لنفسي بتناول الرغايف و الحلوى بين الحين و الآخر. لقد وضع هذا توازنا في حياتي، و أصبح هناك استرخاء و ليونة و استمتاع... أستمتع كثيرا بممارسة الرياضة، لأن ذلك ليس واجبا أفرضه على نفسي بل متعة و حرية اختيار، و لأن الرياضة تمنحني نشوة لا تضاهى و طاقة إذا جربتها يوما لا يمكن أن تستغني عنها إطلاقا ".

"جهاد" و بعض معاني الجهاد

ورد في المقال المعنون : "أسرة مغربية مقيمة بإيطاليا تتخلى عن اسم ابنتها (جهاد)" و المنشور يوم الثلاثاء ١٧ مارس ٢٠١٥ في عمود "مغاربة العالم" بهسبريس ما يلي : (في ظل المعنى السلبي الذي أصبح يرادف كلمة جهاد لدى الرأي العام الغربي، بادرت أسرة مغربية مقيمة بإيطاليا إلى تغيير اسم ابنتها "جهاد" بعد ١٠ سنوات من ميلادها).

لدي سؤال قبل أن نبدأ في التعليق على هذا المقال : هل تعتقدون أن المسلمين المولودين في الغرب لهم مسؤولية خاصة في تمثيل الإسلام و التعريف به ؟ هل سيكون لتغيير اسم طفلتنا المولودة في إيطاليا من "جهاد" إلى اسم آخر أثر في تنشئتها و نموها و تفاعلها الإيجابي مع مختلف أطياف المجتمع الإيطالي ؟ كم منا، هنا في المغرب، على الأقل، يحمل أجمل الأسماء، و أكثرها قربا من حضارة المسلمين الغابرة، لكن أفعاله تدل نادرا على عمق انتمائه الديني و الثقافي و الحضاري ؟ أحيانا، لكثرة غش أو قلة تربية ذاك الفتى أو تلك الفتاة، تخاطب نفسك : ما أبعدنا عن الصدق المحمدي أو الشجاعة العمرية أو حكمة علي أو سعة علم البخاري، و هذه نماذج فقط، لأن لائحة من أسسوا لريادة هذه الأمة سابقا بين الأمم... هذه اللائحة طويلة، و ملؤها بأسماء الأعلام المؤثرين ليس موضوعنا.

على المستوى النظري فإن الخطوة التي أقدمت عليها أسرة "جهاد" هي عين العقل و أحد مظاهر التأقلم مع المجتمع المضيف (إيطاليا). لكن هذا الإجراء، و إن كنا لا نشك في حسن نوايا أصحابه و ذكائهم، يظل على مستوى عام، و هنا أسمح لنفسي بالخروج من نموذج أسرة "جهاد"، ليس هو ما يحتاجه جوهريا المسلمون في أوروبا. إنه نقطة انطلاق نحو ما هو أشمل و أدق و أعمق في تكوين الفرد المسلم، هناك في الضفة الأخرى، و جعله سفيرا للنوايا الحسنة، و مشعلا مضيئا لما يمكن أن يكونه المسلم حقا، بعيدا عن الوقوف عند عتبة المظاهر... المظاهر و كفى...

أيها المسلمون في إيطاليا و فرنسا و إسبانيا و بلجيكا و هولندا، و سائر بلدان أوروبا، ماذا فعلنا لتسليح أبنائنا بأقوى ثنائية تربوية يمكن أن نفتخر بها، ليس فقط كمسلمين، و لكن أيضا كمنتمين إلى عقيدة التوحيد و فلسفة إصلاح الأرض و اعمار الكون... ما هي هذه الثنائية ؟ إنها العلم و الإيمان. ما هي مسؤوليتنا جميعا في تربية أبنائنا و بناتنا على حب العلم و التحلي بالإيمان ؟ متى نفهم أن نهضتنا كمسلمين و استرجاعنا للدور القيادي و الإشعاعي بين الأمم مرهون بتشجيع العلماء و إحترام و تثمين العلم ؟ و ما قيمة العلم، الذي ندعو إلى الاهتمام به أكثر، كتابة و ترجمة و بحثا، إذا لم

يرافقه التركيز على أن نعكس في تعاملاتنا اليومية قدرا لا بأس به من السلوك المهذب و حسن الخلق ؟

بالأمس، عندما كنت في طريق العودة من فاس إلى الرباط، على متن سيارتي بالطريق السريع، فوجئت بسائق كان يتقدمني يرمي من نافذة سيارته إلى الطريق قشور البرتقال، حتى أن والدي الراكب إلى جانبي علق ساخرا : "أكيد أنها برتقالة أحلى من العسل، تلك التي أكلها "خونا في الله"، لكن حلاوة هذه البرتقالة تفسدها مرارة متعددة الأبعاد : السائق (و هنا كنا قد تجاوزناه بالسيارة و أبصرنا بدافع الفضول ملامح وجهه) الستيني الذي تدل أرقام سيارته أنه يعيش في إيطاليا و مع ذلك لم يكتسب من حضارة هذا البلد و تقدمه شيئا. الله ينجينا من قلة الأدب... كان ذلك تعليق والدي الذي لم يأت محايدا، و إنما في قالب من الانزعاج و التذمر، فيا ترى كم عدد الأشخاص الذين يأتون أمثال هذه السلوكات ؟ و هل يتجرأ "خونا في الله" على إلقاء الأزبال في الفضاء العام بهذا الشكل إن كانت لدينا في المغرب قوانين صارمة للحفاظ على البيئة و معاقبة ملوثيها ؟

لنترك هذا المثال جانبا، و لنتفق أنتم و أنا على مسألة حيوية : إن التحضر الحقيقي لا يترجمه أن تسكن في بلد متقدم أو أن تحكم عليك الظروف أن تولد في بلد متخلف. التحضر الحقيقي هو الخلق الحسن.

انه يسوؤني في كثير من المناسبات، عندما أتجاذب أطراف الحديث، مع بعض السلفيين (و هنا لا أهاجم تيارا فكريا بعينه، لأننا كلنا سلفيون إذا تمثلنا و تأثرنا في سلوكاتنا اليومية بالسلف الصالح) ، أن تلتقط مسامعي كثيرا عبارات من هذا القبيل : "صحيح أن فلانا ينقصه الكثير من العلم و التحضر، و لكن ألا يكفيه فخرا أنه مسلم ؟ / "و من يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين" و "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة" حتى و إن كان ينقصه الحد الأدنى من السلوك الحسن، لأنما الأعمال بالنيات، و لأنه يكفينا أن نكون مسلمين / ما ذنب فلان إذا أعوزه التحلي بالحلم و الهدوء ؟ المجتمع المثالي الذي تنظر له لا وجود له، لأننا أصبحنا نعيش في غابة قويها يأكل ضعيفها).

أيها القارئ العزيز، كيف نعلق على هذه المسلمات ؟ كيف نتفاعل مع هذه الأفكار و الأحكام الجاهزة ؟ ألم يبعث محمد (صلى الله عليه و سلم) ليتمم مكارم الأخلاق ؟ لماذا أصبح نصيبنا من الدين إسلام بالوراثة، و تركيز على المظاهر، و غياب للجرأة في انتقاد ذواتنا، و ترسيخ لثقافة الاستهتار بذريعة أن الله هو وحده من يتولى شؤون العباد، ضاربين بذلك عرض الحائط مسؤوليتنا الفردية في مراقبة النفس ؟

أنظر معي إلى وضع المسلمين (و المغاربة جزء منهم) المزري في كل شيء، في كل مكان، في كل فعل : بعض من يؤدي الفريضة الخامسة بهدف استحقاق لقب الحاج، جماعات في المسجد همها التسابق على تسوية الصفوف و سد الفرج، دون أن تكون الأولوية الخشوع في الصلاة و التبسم في وجه جارك خارج المسجد، و تجنب أذاه، و مد يد العون له متى احتاج ذلك ؛ في عمارتك كم أسرة ترفض أداء واجب السانديك أو المساهمة الرمزية في إصلاح بعض المشاكل في المصعد أو الإنارة أو تبييض الجدران أو تجميل المداخل ؟؛ في حيك الغارقة دروبه ليلا في الظلام و بعد سقوط الأمطار في الأوحال، كم أسرة فكرت في التحرك و رفع الشكاوى للمسؤولين و لو كان مصيرها التجاهل ؟؛ المراهقون و الشباب اليافعون في مغربنا عالم متفرد وغريب، و فئة يصعب أحيانا التعامل معها... ألا نسمع كل يوم جملا، أصبحت من كثرة ترديدها، معتادة و لو مست الحياء و الأخلاق العامة ؟ : "هداك ساكن ف ديك الدار مع صاحبتو / هديك البنت خارجة على الطريق و لكن راجل تبارك الله عليها، هي لي هازة دارهم / هداك الأستاذ معقد، و مزير الطلبة بزاف و بحالي كيعطي النقط من جيبه..."

كيف حال غالب شبابنا في مغرب اليوم ؟ إبحار على شبكة الإنترنت بالساعات الطوال للدردشة و التسلي و النميمة على الفيسبوك و استهلاك مفرط للفيديوهات التافهة و توظيف ضعيف إن لم يكن منعدما للتكنولوجيا في التعلم و العلم. لماذا في مجتمعنا قلت بشكل رهيب الابتسامة و معها الايجابية و التفاؤل ؟ لماذا في مجتمعنا هيمنت الكآبة و غاب معها الفرح و الإقبال على الحياة ؟ لماذا ليس هناك ثقافة للعمل ؟ لماذا نحن في الإنتاج و الابتكار من أضعف خلق الله ؟ ثمة كثير من الناس يكلمونك دون أن ينظروا في عينيك، يسمعون لك دون أن يصغوا إليك، ثمة ملايين من الناس لا يقرؤون، لا تجدهم طالعوا في حياتهم كتابا واحدا اللهم ما جاء في واجبات المقرر الدراسي، و ثمة شبان كثر همهم الأساسي الموسيقى و الرقص و الاستهلاك و امتلاك أكبر سيارة و أصغر عقل و التسابق المحموم على اقتناء أفخر الملابس دون أن يكون للإنفاق الثقافي رصيد يحتسب...

إن عددا هائلا من مغاربتنا، إن لم يكن الجزء الأعظم، فقدوا أرواحهم، جريا وراء المال و المظاهر و الشهوات...

إن نموذج الأسرة المغربية المقيمة بإيطاليا التي تخلت عن اسم ابنتها (جهاد) بدافع من الذكاء الاجتماعي و الرغبة في التعايش، لا ينبغي أن ينسينا نوعا آخر من الجهاد يتعين علينا أن نمارسه في تعاملات و تفاعلات و سلوكات و تمظهرات كل الأيام : التمسك بمكارم الأخلاق؛ و ذاك هو حتما الطريق السريع نحو الجهاد الحقيقي.

استراتيجيات التوازن اللغوي

الحياة تجارب و محطات و لقاءات و آلاف اللغات أنطق الله بها شعوبا و قبائل لغايات التمايز و التعارف ، و أحد الدروس العظيمة التي علمتني إياها الحياة هو أنك إذا أردت أن تدافع عن فكرة ما فعليك أن لا تتعصب لرأيك، و أن لا تسفه للآخرين مستمعين كانوا أو متحدثين أو قارئين، إمكانات الاختلاف، بعبارة أخرى : دعهم يبحروا في تيار غير الذي يستهويك أن تكون فيه.

على الرغم من أني منذ كنت يافعا، منذ أن كان سني ١٢ سنة و إلى حدود الآن، سافرت كثيرا، أولا بحكم الحركة الانتقالية لوالدي (الذي كان مسؤولا في وزارة المالية) و سكنت في مدن و دول مختلفة بحكم الدراسة و مشروع الدكتوراه و التعليم الجامعي و العمل، من المغرب إلى تونس إلى فرنسا، رجوعا إلى المغرب، بعد ١١ سنة قضيتها خارج أرض الوطن... أقول، على الرغم من كل ذلك، فإني أحسني بعد كل هذي السنوات مغربيا حتى النخاع و معتزا إلى درجة لا توصف بمغربيتي و ما ينتج عنها من انتماءات ثقافية و حضارية و لغوية... قد تقاطعني، أيها القارئ الكريم، و تقول لي : "مهلا، كل ذلك جميل، و لكن ما الذي تريد الوصول إليه من كل هذا الكلام المدبج؟ أدخل مباشرة في صلب الموضوع ! " موافق، و طلباتك على العين و الرأس...

لماذا هناك في المغرب مثقفون يدافعون عن الأمازيغية بنوع من التعصب و بدعوة صريحة إلى إقصاء العربية بحجة أنها لغة دخيلة و أن الأولوية يجب عن تكون للأمازيغية، لسان سكان المغرب الأولين ؟ بعد أزيد من ٥٠ سنة لنيل المغرب استقلاله، لماذا هناك فريق آخر من المثقفين و المفكرين يحملون الفرنسية مسؤولية تخلف النظام التعليمي بالمغرب، و تكريس عقدة التبعية، و حرمان المغاربة من الدراسة و التواصل و التعلم، أولا و قبل كل شيء بلغاته الأم : أمازيغية و عربية ؟ لماذا هناك آخرون يؤمنون أن تقدم المغرب علميا و تكنولوجيا و اقتصاديا و تجاريا مرهون بالتركيز على الإنجليزية، أهم لغة في العالم و الأكثر انتشارا ؟ لماذا هناك طائفة أخرى، ترى أن مستقبل المغرب هو الدارجة، باعتبارها أول رصيد لغوي مشترك لمعظم المغاربة، داعين في ضوء ذلك إلى تطويرها و معيرتها و مأسستها،

بل و إدراجها في التعليم و الإدارة و التعاملات اليومية كلغة أولى لا محيد عنها ؟ كل الآراء التي قدمنا لها يستحق أصحابها كل الاحترام، لأنهم بكل بساطة، بذلوا مجهودا في التفكير في حاضر المغرب اللغوي و مستقبله، لذا لا أملك إلا أن أرسل إليهم من هذا المنبر جرعات سخية ملؤها التقدير و كثير من الطاقة الإيجابية. و من منظوري الشخصي، المسألة اللغوية في المغرب أبسط كثيرا مما نتصور. لماذا و كيف و ما البراهين على هذا الطرح ؟

بعد أكثر من ١٤ قرن لتعريب المغرب بمجيء الفاتحين المسلمين من المشرق، من المؤسف التفريط في اللغة العربية، أو التفكير في إقصائها و لو لحظة واحدة من تعليمنا و مدارسنا و إداراتنا. إن العربية لغة القرآن و أحد مفاتيح التعبد في الإسلام (لا أقول أن العربية تساوي الإسلام حتى لا أفهم خطأ) و همزة الوصل مع ما يقارب ٤٢٢ مليون متحدث بلغة الضاد في العالم حسب آخر الإحصاءات، ناهيك عن كونها لغة السياسة والعلم والأدب لقرون طويلة في الأراضي التي حكمها المسلمون و من أغزر اللغات في العالم من حيث المادة اللغوية فضلا عن كونها إحدى اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة. كل هذه الإشارات غيض من فيض، و شهادات متواضعة جدا في حق هذه اللغة العظيمة و الخالدة.

و بعد أزيد من ٣٣ قرن لوجود الأمازيغية في المغرب شعبا و لغة و ثقافة، من العار و العيب التجرد من هذا المكون الهوياتي الأصيل و المتجذر في أعماق كل مغربي يفتخر بماضيه و يدافع عن حاضره و يستشرف مستقبله. إن الأمازيغية لا تحتاج لمن يدافع عنها، لأننا كلنا أمازيغيون. سواء تكلمنا الأمازيغية أو لم نتكلمها فنحن أحفاد مازيغ و جوبا و ماسينيسا و ابن بطوطة و ارتباطنا بالأمازيغية، هو أولا و قبل كل شيء ترجمة لشخصية المغربي الصميمي : الرجل النبيل الحر، ذلك الفارس المغوار الذي يأبى الظلم، ذلك الإنسان الذي حتى إن لم يجد ما يأكله فهو لا ينسى إكرام الضيف، ذلك المسافر الذي يقطع الجبال و الوديان و البحار و يتغرب في البلدان، لكنه دائما يعود، كما أثبت التاريخ دائما، إلى الجذور، إلى الوطن الأم.

إن الدارجة و الحسانية و غيرها من لهجات المغرب تضفي على مشهده اللغوي مزيدا من التنوع و الثراء شريطة أن يتم الحفاظ عليها و تثمينها بقوة، عبر أقلام الكتاب و الشعراء و الأدباء و المحاضرين و الفنانين. إنها جزء لا يتجزء من "التمغربيت" التي لا خير فينا إن نحن فرطنا فيها. من المؤكد أيضا أن الإنجليزية لغة الحضارة و العلوم بالدرجة الأولى، و أن قلة استعمالها في تعليمنا الحالي خطأ فادح و ضعف في التصور الإستراتيجي لمستقبل المغرب في محيطه الدولي. لكن منطق "أبيض أو أسود" الذي يدعو إليه بعض الفاعلين الثقافيين و اللغويين في المغرب والذي مفاده أنه لا خير في الفرنسية، لغة الاستعمار، و أنه يجب في القريب العاجل، التخلص منها، لصالح

الانجليزية... هذا المنطق نستمع بصبر لفلسفة أصحابه دون أن نتفق معهم. لم لا نربح الإنجليزية و الفرنسية معا، كلغتين أجنبيتين من الدرجة الأولى ؟ ألا نستحق ذلك ؟

رحمك الله أيها الحسن الثاني، أيها الملك الراحل، و سلمت حين قلت لنا، نحن المغاربة، في إحدى خطبك التاريخية ما معناه : "اللي عندو لغة واحدة بحال اللي عندو عين واحدة". رحمك الله أيها الحكيم العبقري.

الحياة تجارب و محطات و لقاءات و آلاف اللغات أنطق الله بها شعوبا و قبائل لغايات التمايز و التعارف و تعدد اللغات في المغرب عيون ماؤها الزلال لا ينضب. هذا التعدد هو عين الحكمة و التنوع و الثراء، و ملمح أساسي لتفرد المغرب بين الأمم، كبلد ذي شعب منفتح و عاشق للاختلاف. مغربنا هو مغرب الثراء و التوازن اللغوي. فلنحافظ جميعا على هذا المكتسب.

مارس و المرأة وهمسات الحب

يحتفل الملايين في العالم بأسره كل ثامن مارس من كل عام بعيد المرأة.

دعونا نتفق، أعزائي، على مسألة بديهية، لكنها في غاية الأهمية : ليس هناك فرق بين الرجل و المرأة، و إن تعالت الأصوات في منابر الإعلام و ركزت على الفروق، بيولوجية، سيكولوجية، ثقافية، مادية، أو غيرها.... كل رجل و امرأة من نسل آدم و حواء، و حواء نفسها خلقها الله من الضلع الأيسر لأبينا آدم، حسب ما تورده الكثير من كتب الدين. أنت و أنا، و هم و نحن و الناس جميعا، ذرية واحدة من أصل واحد : الإنسان.

كل إنسان في هذا الكون، مهما كان سنه أو جنسه أو لونه أو انتماؤه الثقافي أو العقدي أو السياسي، لديه رغبة دفينة في أعماق روحه أن يكون محبوبا مقبولا و متواصلا بشكل دائم و ناجح مع أفراد المجتمع، و هذا ما يجعل كل إنسان، أنت و أنا و زملاؤنا في العمل و أبناء الجيران و العائلة و الأصدقاء و حتى العلاقات المفروضة تحت اكراهات اللباقة و المجاملات، اجتماعيا بطبعه.

إذا، ما معنى أن تكون اجتماعيا ؟ هل يعني ذلك مجرد القدرة على خلق علاقات إيجابية مع الأفراد المحيطين بك دون إغفال تلوين هذه العلاقات بما يكفي من الود و الفكاهة و الخيال و الأخذ و العطاء ؟ هل من سمات الشخص الاجتماعي الاستماع و القدرة على إيجاد الحلول لأكثر مشاكل الناس استعصاء و المساهمة في منح الآخرين جرعات سخية من الاهتمام و التضامن و التعاطف اللامشروط ؟ كل هذه العناصر موجودة، لكن لا قيمة لها إذا غاب القلب النابض لكل العلاقات الإنسانية؛ سر تعاقب الأجيال، روح الكون و ترمومتر الأحاسيس و الأسطورة/الحقيقة التي قام عليها العالم، منذ آدم و حواء.

إنه الحب...

أكتب عن الحب، و تجري في خيالي صور و لقطات شتى عن تصورنا لهذه الكلمة الساحرة في النطق. قبل أيام قليلة، فتحت قوسين على هامش درس في التواصل، و قلت لطلبتي: "ما أحوجنا في مجتمعنا إلى مقدار كبير من الحب"، و هنا انفجر الجميع

ضاحكين، فما كان مني إلا أن سألتهم عن السبب. و لسعادتي البالغة، كان طلبتي صرحاء و مباشرين في الجواب، كما اعتادوا على ذلك دائما في كل لقاء يجمعني بهم. و تناهى إلى مسامعي سيل من الأجوبة :

" أستاذ نحن ينقصنا الحب / من الصعب أن تقول لشخص ما (أنا أحبك) / الحب هو التقدير / في مجتمعنا المغربي، الناس دافئون و جياشو العواطف لكن قلما سمعت أحدا يكلمك عن الحب أو يجهر بالحب / الحب ليس هو الجنس، الحب هو كيف أن رجلا و امرأة تزوجا ذات يوم و قبل كل واحد منهما فضائل و عيوب الآخر، و تقاسما الخبز و الماء و تربية الأبناء و الحنو عليهم في السراء و الضراء، على متن سفينة هي الحياة، و في خضم أمواج و رياح هي البشائر و الصعاب، هي الأفراح و الأتراح".

كانت ردود طلبتي، الذين لم يتجاوز أغلبهم العشرين، مدعاة لتفكيري في مقولة واحدة للروائي حنا مينة، ما زالت راسخة في ذاكرتي، منذ أزيد من ١٦ سنة : " الحب يعاش و لا يقال". أنا أتفق مع هذه المقولة، لكن بطريقتي الخاصة: "الحب الحقيقي يعاش و يقال".

و نحن على بعد ساعات قليلة من اليوم العالمي للمرأة (أثناء كتابة هذه السطور)، أريد أن أنحني بكل حب و تقدير لكل النساء اللواتي لهن الفضل علي، و اللواتي كان حبهن لي دافعا للنجاح و نبراسا مضيئا في دروب الوحدة و الشكوك...

أشعر أني سعيد الحظ، لأنه في عالم تملؤه الأنباء المفجعة و العلاقات الأسرية المفككة و ابتعاد الكثيرين عن ذويهم للعمل أو التعلم، أتلقى كل يوم عبر الهاتف إذا حادثتك، و كل أسبوع إذا زرتك، فيضا لا ينضب من الدعوات المباركة و أماني الصلاح و الفلاح لي و لأسرتي. فشكرا لك، أيتها الأم، و أطال الله في عمرك، و لتعلمي أن حبي لك بلا حدود...

إني أحب التعامل مع الحياة بمبدأ مفاده أن الحياة لا تستحق منا أن نعكر صفوها بالهموم و التعقيدات و الماديات، فشعاري في الحياة : "عشها ببساطة"، لذا أشعر برغبة لا تقاوم أن أوفيك حقك من الشكر : أنا ممتن لك أيتها الزوجة، لأنك صبورة على أسفاري الكثيرة و غياباتي و تقلب مزاجاتي، و لأنك مثلي، حتى قبل أن نلتقي، تشاطرينني الجزء الأعظم من رصيد القيم، و لأنك حريصة على أن نتناغم في

اختياراتنا و توجهاتنا في الحياة ليس فقط باسم الحب، و لكن أيضا حرصا على مصلحتنا نحن الاثنين.

إن الحديث عن الحب لا يستقيم و يصلح دون الإشارة إليك و السلام عليك، من هذا المنبر. بالنسبة لك، الأخوة أفعال طيبة و كرم حاتمي و قلب كبير و احتضان حقيقي؛ و صحيح أنك، هناك، و أن مئات من الكيلومترات تفصلنا، أنت في فرنسا التي اخترت السكن فيها منذ أزيد من ١٥ سنة، و أنا في المغرب الذي عدت إليه من مهجري منذ أزيد من عامين. إن لقاءاتنا القليلة و كونك بعيدة عن العين، كل ذلك لا يهم، ما دمت حاضرة بقوة في صميم القلب، و ما دمت لي أما ثانية، قبل أن تكوني أختا كبرى.

إن الكون بسعته اللانهائية عاجز أن يستوعب حبي لك و هيامي بك، يا سلمى، يا بنيتي. إن حبي للحياة ازداد عندما رزقت بك و معه مشاعر الندم لكل دقيقة و ساعة أزعجت أو أغضبت فيها أبوي. فشكرا للخالق الكريم الذي وهبني أجمل هدية و أغلى كنز، و لأنه يمدني كل يوم بالطاقة و الرغبة في التميز و العطاء، من أجلك يا جوهرتي، يا قرة عيني. شكرا لك إلهي، لأنك علمتني جهلي بأمور كثيرة أمام براءة الأطفال و حكمتهم و صفاء سريرتهم. شكرا لك، لأن حب سلمى هو سر الحياة و فرحة كل يوم و التعبير الدائم عن التفاني و قرب منك و بركات و صلوات لا تنتهي.

شكرا لك أيها القارئ العزيز و شكر لا ينقطع لكل من ألهمني حبه كتابة هذه الكلمات.

التعليم و التربية و التطوع

هناك العديد من الناس، و أنا واحد منهم - و لعلك تقاسمني الرأي الذي سأدلي به- تشمئز أنفسهم و تقشعر أبدانهم حينما يتم الحديث عن إصلاح التعليم بناء على الاختيار اللغوي... اللغة دون المحتوى و الأهداف و منظومة القيم. لو فكرت في هذا الأمر بأسلوب تحليلي و بشيء من العمق، لأدركت أن القشعريرة و الاشمئزاز و ربما الإحباط أيضا، كل هذه أحاسيس تحرك أي قارئ واع مثلك، خصوصا عندما يتعلق الأمر بإصلاح أهم قطاع في البلاد، بنوع من السطحية و الارتجال. لماذا ؟ لأن اللغة وسيلة و ليست غاية، و المهم هو التفكير في مجموعة من الإجراءات أكثر فائدة و مردودية : تمكين أقصى عدد ممكن من الأساتذة من التكوين المستمر، التوظيف المتزايد كما و كيفا لتكنولوجيات الإعلام و الاتصال في العملية التدريسية، التركيز على تعليم مهارات الحياة و تنمية المواهب لدى التلاميذ و الطلبة عوض تحويل عقولهم إلى مخازن يتم تحشوها و تكديسها بالمعلومات، تشجيع المتعلمين و الأساتذة على حد السواء على الابتكار، و لا شك أنه على رأس جميع هذه "التوصيات" يتموقع تثمين ثقافة العمل و الإنتاج.

التعليم ما هو إلا وسيلة تمكن الأفراد، في تصورنا المثالي، من تنمية الذات و القدرات و النجاح في الحياة. اللغة أيضا وسيلة. لماذا هذا التمسك الأعمى بالفرنسية كلغة رئيسية في المنظومة التربوية، و اعتبار العربية لغة الجلباب و العمامة و المساجد، ناهيك عن احتقار الأمازيغية بتصويرها في وسائل الإعلام على أنها لغة الرقص و الفلكلور و الأهازيج ؟ لا أعرف بلدا متقدما، في الوقت الحالي،لا يراهن في تعليمه على اللغة الأم، إلى جانب الإنجليزية طبعا كلغة ثانية. كيف نريد أن ندفع بتعليمنا إلى الأمام و نعولمه و نرفع من شأنه عندما تكون الأولوية القصوى للغة بدأ يهجرها، في مختبرات البحث العلمي، أبناؤها الأصليون، متوجهين أكثر فأكثر من لسان موليير إلى لسان شكسبير ؟

من منا لا يحب المغرب ؟ من منا لا يحلم أن يصبح مشرق الأنوار دولة متقدمة بكل المقاييس ؟ كلنا نحب هذا الوطن و دماؤنا و أرواحنا فداء له. ما هي إذا لغات التعليم الأكثر نفعا و ضمانا لبناء المستقبل ؟ أنت قارئ ذكي و لبيب. لن أجيب عن هذا

السؤال. أنت تعرف الإجابة. أزمة التعليم في مغربنا ليست قدرا مستحيل التغيير، بل هي تراكم لمسلسل من الأخطاء، إنها تحصيل حاصل. التعليم في نظري مثل العلم الوطني؛ إنه يعكس و يجسد كل فضائل و مميزات هذا الوطن. عندما يرى الكثير منا العلم خفاقا حرا تدمع العيون و تنبض القلوب لهذا الرمز الخالد. لدي حلم أن تسكب دموع العرفان و تخفق القلوب في هيبة و جلال عندما نرجع بالذاكرة إلى الوراء و نتمثل الأستاذ الحقيقي، و معه بل مثله التعليم الحقيقي؛ ليس تعليم الترهيب و الاستظهار و الاستحقاق المبني فقط على العلامات، و لكن تعليم التأسيس و التشييد و البناء. بناء الإنسان، المواطن، الحر، المنتج، و المتطوع. التعليم القوي يرتبط بتربية الأجيال على التطوع. كيف ذلك ؟

لو أني قلت لك : " لديك الآن أرقى شهادة جامعية فابحث لك عن عمل ! "، و كان جوابك: "الفرص قليلة، هناك أزمة شغل خانقة، لا أظن المسألة بهذه السهولة، ليس الأمر كما تتصور"، فإن جوابك يدل، مع كامل احترامي لك، عن نقص كبير لديك، ربما بسبب التعليم الذي تلقيته و الذي ينتج لنا كائنات سلبية خاضعة... نقص هائل و ربما غياب لحس التطوع. ما المقصود ؟ ما علاقة ذلك ببحث حامل شهادة جامعية عن العمل ؟ الجواب بسيط، ربما أبسط مما تتخيل.

التطوع يعني هنا جملة من الحركات و الأعمال الجادة : إرسال العشرات و ربما المئات من نسخ السيرة الذاتية، عدم الاكتفاء بذلك و طرق أبواب المشغلين بشكل مباشر، سد ثغرات التكوين الجامعي النظري بما أمكن من دورات اللغات و الإعلاميات و الكمبيوتر، التدرب على فن الحديث أمام الجمهور، التمرس على فن الإقناع و التفاوض، تملك أهم أدوات و تقنيات التواصل اللفظي و غير اللفظي دون نسيان مهارات التواصل الفعال، التغلب على الخجل و التلعثم و التردد بالنسبة لمن يعاني من ذلك و اكتساب مزيد من الثقة بالنفس. في هذه الأثناء، أنت متوتر، و أنا أفهم أن حصولك على عمل أمر ممكن رغم صعوبته و طول النفس الذي من المطلوب أن تتحلى به. ربما ينقلب توترك إلى صداع في الرأس و قلة في النوم و أوجاع في المعدة، كل هذه أمور مفهومة، و حصلت لي شخصيا. لكن، دعني أسألك : هل تتوقف الحياة عندما نبحث عن العمل ؟

أرجوك، حتى في أصعب الأوقات، حتى و أنت منهمك من قمة الرأس إلى أخمص القدمين في المشاريع الأكثر أهمية، لا تهمل طقوس التطوع، و اجعل منها بالنسبة لك

منهاجا أصيلا و فلسفة حياة : سخر كل الجهود لإيجاد العمل، و لا تنس توازيا مع ذلك أشياء بسيطة و لكنها أساسية : واصل مساعدة الفقراء و المحتاجين، لا تنقطع عن عملك الجمعوي و لو كان متواضعا و غير مدر لأي ربح مادي، لا تهمل ترتيب فراشك عند الاستيقاظ من النوم،لا تنس المساعدة في أشغال البيت من كنس و مسح و طبخ و تسوق إن كنت تسكن مع الأهل، فكر في تحمل مسؤولية ساندیك العمارة و لو لشهور قليلة، كن صديقا للبيئة و تعهد أن تسقي كل يوم ما غرسته من نبات في شرفة البيت أو في الحديقة، تطوع بتجميع أفراد العائلة الذين ما عادوا يتلاقون إلا نادرا بحكم الحياة الطاحنة و الجري المشروع خلف المصالح و ضيق الوقت.

تعلم كل ذلك، و رب نفسك عليه، و تسلح بالتطوع، بل كن التطوع نفسه.

آفاق و حدود السينما

يعتبر الفيلم السينمائي خطابا فكريا وثقافيا وإبداعا فنيا متكامل العناصر، يسعى صاحبه من خلال رؤية معينة إلى التأثير على المُشاهد، بامتلاك حسه الشعوري والفكري، لذا تمثل السينما قيمة فنية بكل تمظهراتها الإنسانية. السينما أيضا "نافذة على العالم" ، و الكثير منا سمع مرارا و تكرارا بهذه الاستعارة الكلاسيكية، و بما أن السينما كانت باستمرار تحت رحمة السلطة السياسية خاصة في الشرق و السلطة المالية خاصة في الغرب فلقد عانى الإبداع الفردي كثيرا في القرن العشرين من هاتين السلطتين، و لكن على أعتاب القرن الحادي و العشرين، اختلف الموقف جذريا ، فأصبح السينمائيون بفضل الثورة التكنولوجية المدهشة قادرين أن يتصوروا أنفسهم في أوضاع سينمائية جديدة، سلاحهم في ذلك كاميرات في منتهى خفة الوزن و الصغر بحيث يقترب وزنها و حجمها من العدسات اللاصقة لا سيما أن ثقل الآلات السينمائية، في العقود السابقة، كان يعوق المبدع في العديد من الاختيارات و التنفيذات السينمائية.

كثيرة هي أيضا الكتب التي تتحدث عن الفيلم السينمائي على مستوى الكتابة و التأثير و الإخراج. من ضمن هذه الكتب علامات بارزة في المكتبة السينمائية، مثل كتاب "الإخراج السينمائي لقطة بلقطة - صناعة المشاهد البصرية من الفكرة إلى الشاشة" لمؤلفه ستيفن كيتز، و الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩١ و كتاب " تقنيات إنتاج الفيلم الوثائقي" لمؤلفه هوغ بادلي و الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٣. و من الكتب التي صدرت في السنوات الأخيرة كتاب "صناعة الأفلام الوثائقية و أفلام الفيديو الواقعية لمؤلفه هاري بامب.

فيلم "الزين اللي فيك" من جنس الأعمال السينمائية التخييلية رغم أنه ذو نفس وطابع وثائقي صميمي يتكشف من خلال الأضواء التي يسلطها على ظاهرة الدعارة في الواقع اليومي لمدينة مراكش. هذا الفيلم الذي لم يتح لنا مشاهدته بفعل المنع الذي طاله (حيث أعلنت وزارة الاتصال أن السلطات المغربية المختصة قررت عدم السماح بالترخيص لعرضه بالمغرب، نظرا لما تضمنه من إساءة أخلاقية جسيمة للقيم وللمرأة المغربية، ومس صريح بصورة البلاد) أسال الكثير من المداد و هوجم بشراسة في

منابر التواصل الاجتماعي و أثار و ما زال يثير الكثير من الجدل بفعل بعض مقاطعه المسربة على اليوتيوب و التي شوهدت من قبل مئات الآلاف من متصفحي الأنترنت.

كل هذا معروف، فما القيمة المضافة لهذه السطور ؟
نريد أن ندلي بدلونا في النقاش الدائر حول "الزين اللي فيك" لمخرجه المغربي الفرنسي نبيل عيوش. نريد أن نساهم في تأسيس و بلورة تفكير هادئ و عقلاني، بعيدا عن الأحكام الجاهزة و سلطان العاطفة العمياء، حول فيلم أثار زوابع من النقد و مقدارا هائلا من الضجيج. بداية، إن قرار منع عرض الفيلم في القاعات السينمائية يمليه حرص السلطات على صيانة الأخلاق العامة و حماية سمعة المغرب حيث أظهرت اللقطات المسرّبة من الفيلم، كلمات نابية ومشهد رقص ماجن يحمل إيحاءات جنسية واضحة، فضلاً عن مشهد آخر لعاهرة ترقص وتغني بما مفاده أن مواطني بلد خليجي بعينه يحبون ممارسة الجنس مع المغربيات.

لكن توازيا مع هذا لماذا هذا الكم الهائل من الحقد و وابل السباب و القذف و التهديد بالقتل الذي تعرضت له بطلة الفيلم لبنى أبيضار ؟ لماذا يلبس الكثير من المنتقدين عباءة الواعظ الديني و يمارسون الترهيب في حق امرأة، حتى و إن لعبت سينمائيا دورا فيه نوع من الإباحية، إلا أنها تظل إنسانة تندرج أفعالها و حركاتها و اختياراتها في دائرتي الصواب و الخطأ ؟ ككل الناس طبعا... لكل من يحكم على "الزين اللي فيك" بمنطق الحلال و الحرام نريد أن نقول : العين تزني فما كان هناك من داع أصلا لمشاهدة اللقطات المسربة و بها ما بها من صور و إيماءات و إيحاءات تعبق بالجنس و الشبق ! أ ليست الموعظة الحسنة و الإرشاد اللين إلى جادة الصواب أفضل من أن تلعن أو تعنف فلانا أو فلانة ؟ لكل من يعتبر العري و الإثارة المجانية للحواس و الكلمات الخادشة للحياء و ربح الأموال على حساب الأخلاق من صميم حرية الفن و التعبير نريد أن نهتف بأعلى صوت : ما الفرق بين الإنسان و غير الإنسان ؟ ما الفرق بين الفن الراقي الموظف للرموز و الفن الساقط في مهاوي الابتذال ؟

لقد ناضل الفنان منذ فجر التاريخ من أجل إيصال صوته إلى العالم بالكلمة والصورة المعبرة والصوت والأداء المؤثر، و في سبيل ذلك لم يتردد في الهجرة و التضحية بالغالي و النفيس من الجهد و الوقت و المال و امتشاق دروب الحياة، بعيدا عن أسباب الراحة و الطمأنينة، فالعمل الفني الحقيقي هو ما يمنح الاعتراف و المكانة و الاعتبار،

و نحن لا نشكك في القيمة الفنية لنبيل عيوش من خلال كثير من أعماله السابقة، لكن أي قيمة لعمل فني لا يخدم الوطن ؟ أي قيمة لعمل فني لا يعمل على ترسيخ حب الوطن ويحافظ على قيم الشعب ويحرك مشاعره باتجاه الدفاع عن هويته وحقوقه والسمو بعواطفه الإنسانية ؟ أي قيمة أيضا لأحكام انفعالية حول شريط سينمائي لم يشاهد أصلا و عرف عن شعبه التشفي بالغير و تنزيه الذات من الوقوع في الزلل و تصيد أقل هفوة للآخر لأجل الفتك به ؟ و أخيرا لم هذه "الجنازة الحامية و الميت فار" ؟ بعبارة أخرى، لماذا هناك طاقات أهدرت و أعصابا أتلفت و أشخاصا شتموا و تهديدات بالقتل أطلقت في حق فيلم لم يعرض بعد في قاعات السينما، بل طاله المنع حتى قبل أن يبرمج عرضه... و الأدهى و الأمر أننا جميعا نملك كامل الحرية في مشاهدة أو عدم مشاهدة لقطاته المسربة، أو نسخته المقرصنة متى توفرت ؟

إن " الزين اللي فيك" سحابة صيف، إنها ظاهرة عابرة لا تستحق منا كل هذه الجلبة و الضوضاء. إن عواصف النقاش الدائرة حول هذا الفيلم و سهام النقد الموجهة له يمينا و يسارا لهي أكبر لعبة تمارس لإلهاء الرأي العام و شغله بتوافه القضايا و المواضيع عوض ما هو حيوي و مستعجل. إن أقصى الذكاء و "الزين اللي فينا" أن نهتم في حاضرنا و مستقبلنا بما هو أنفع و أهم.

السينما و ماما فرنسا

هل الاختلاف ظاهرة صحية ؟ ما هي أهميته في مجتمع يقول أنه مسلم، و ينتمي إلى ثقافات بألوان الطيف، أمازيغية، عربية، إفريقية، أندلسية، متوسطية و أخرى ؟ ما هو الثمن الذي على المختلف دفعه مقابل الدفاع عن أفكاره في مجتمع أقل ما يقال عنه أنه خاضع للتنميط و الفكر الواحد ؟ هدفنا في هذا المقال ليس أن نجيب عن السؤال التقليدي الذي يروج في الساحة المغربية هذه الأيام : "هل أنت مع أو ضد الفيلم الأخير لنبيل عيوش ؟". هدفنا بكل بساطة و اختصار أن نسلط الأضواء على ملمح مهم من الشخصية المغربية الحديثة : ترك ما هو أساسي في الحياة و الفن و الإبداع و الانشغال بالتفاهات.

لا نريد أن نعمم لأن التعميم عمى، لكن الملاحظات و المشاهدات و المحادثات اليومية مع كثير من الناس حول السينما و أساليب التعبير و حدود الحرية... كل ذلك يؤكد لنا أن هذا الشعب المحترم يكاد يفقد عقله و هو يرغي و يزبد حين ينتقد فيلما له كامل الإرادة أن يشاهده أو لا يشاهده على الإنترنت.

لقد قلنا في مقالنا السابق "ذاك الزين اللي فينا" المنشور يوم ٢٨ ماي ٢٠١٥ في عمود "كتاب و آراء" بهسبريس ما يلي : " الزين اللي فيك" سحابة صيف، إنها ظاهرة عابرة لا تستحق منا كل هذه الجلبة و الضوضاء. إن عواصف النقاش الدائرة حول هذا الفيلم و سهام النقد الموجهة له يمينا و يسارا لهي أكبر لعبة تمارس لإلهاء الرأي العام و شغله بتوافه القضايا و المواضيع عوض ما هو حيوي و مستعجل". ما يصدمنا و يسوؤنا حقيقة في فيلم " الزين اللي فيك" ليس هو موضوع العمل و لا طريقة المعالجة السينمائية. إن ما يصدم و يستحق التفكير العميق في الوقت ذاته هو إصرار الآلاف من المغاربة و ربما الملايين (فنحن لا نملك إحصاءات دقيقة بهذا الشأن) على توجيه أقذع الشتائم إلى مخرج الفيلم و طاقمه الفني، و ذلك مع الأسف تحت ستار الوعظ الديني، و في إطار الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

عزيزي القارئ، أتفق معك أن الكلام الساقط و العري و المجون في الواقع المعيش أو المتخيل السينمائي أمور تخرج عن ضوابط الدين و الخلق الحسن. لكن، دعنا الآن نتفق على مسألة حيوية : إن من يهدد بالقتل و يسب أخاه الإنسان لأنه اختلف معه و لم يقاسمه نفس الأفكار، من يفعل ذلك فإنه يتجرد من جوهر الدين : التسامح و قبول الاختلاف.

نريد أن نصلح الوطن و نبنيه و نفتخر به في الداخل و الخارج ؟ فلنبدأ بأنفسنا ! نريد أن يقل الفساد و العهر و دعارة الفكر و الروح و الجسد في حواضرنا و بوادينا ؟ فلنعط المثال الحسن و لنبدأ بأنفسنا ! هل من المفروض أن نهاجم الواقع أم الخيال؟ هل

المشكل في واقع الدعارة بالمغرب أم في فيلم نقل مشاهد من الواقع المعيش ؟ نريد أن نحفظ الكرامة و ماء الوجه عندما ينتقدنا أجنبي قائلا : "شاهدت (الزين اللي فيك)، و يا لها من دعارة مخيفة تلك التي توجد في بلدكم ! " ؟ فلنتجاهل كلاما مثل هذا و لنعلم أن الدعارة موجودة في كل بلدان العالم و أن الفساد لا وطن له و لا دين و لا انتماء.

هل "الزين اللي فيك" فيلم مثير للغرائز و كفى أم أنه وعاء حامل لأيديولوجيا معينة ؟ من هي يا ترى الجهات الخفية التي مولت هذا الفيلم و لأية أهداف ؟ إن العديد من الأفلام تحتوى على أشكال من الايديولوجيا المُتضمنة، وأحياناً يتطلب الأمر سنوات طويلة حتى يستطيع الفرد التفريق بين ما هو مُتضمن وما هو مُعلن. إن ما يثير في فيلم (الزين اللي فيك) هو أن نبيل عيوش لا يهتم بجمالية الإبداع السينمائي و رقي التوظيف الفني للأجساد و الكلمات و الديكورات و المضامين، بقدر ما يهدف إلى خدمة الفرنكفونية الإستعمارية ، التي تسعى إلى أن يظل المغرب دائرا في فلكها إلى أجل غير مسمى. هل يليق بالمغاربة، و هنا أتحدث عن السواد الأعظم منهم، أن يقبلوا قبولا أعمى مبادئ الحرية الجنسية و الإباحية تحت مسمى الفردانية ؟ نحن لسنا بتاتا ضد حرية الفن عموما و السينما خصوصا، لكننا نود أن نطرح السؤال التالي : لماذا يتماهى بعض المخرجين المغاربة مع النموذج و الثقافة الفرنسية عندما يتعلق الأمر بمعالجة مواضيع حساسة كالجنس في السينما ؟ أين هم و نحن من الخصوصية الثقافية و الدينية التي تميز المغرب بل العالم الإسلامي بأسره عن فرنسا ؟ إن الانفتاح على الثقافة الفرنسية جميل و مثمر، لكن ذلك لا ينبغي أن يصبح مرادفا لدى بعض الفنانين لعدم احترام جمهور الوطن، و "للانسلاخ الثقافي". إن التماهي مع الثقافة الفرنسية، من خلال نموذج "الزين اللي فيك" على مستويات الإخراج و الرؤية الفنية، ليس تماهيا يفهم منه المحاكاة؛ إن هذا التماهي يرادف التنكر الصريح للشخصية المغربية المعروف عنها إجمالا نزوعها الفطري إلى أن تكون محافظة، مهتمة كثيرا بالقيل و القال و راعية للمظاهر الاجتماعية المقبولة - و إن كان ذلك أحيانا أو غالبا، حسب المواقف - على حساب الجوهر.

إن عقدة "ماما فرنسا" حاضرة لدى كثير من مثقفينا المغاربة، ليس في السينما فحسب، و ليس فقط في أي نوع من الزين "اللي فيك، و اللي فيهم"، بل في كل نواحي الحياة اليومية : ها أنت تتكلم مع جارك أو صديقك بالدارجة لكنك تجد نفسك من غير أن تشعر تقحم في الحديث عددا هائلا من الكلمات الفرنسية، ها هم الإشهاريون في المغرب يخاطبون عامة الشعب بسيناريوهات و أفكار و رؤى فنية مائة في المائة فرنسية، ها هي نسبة كبيرة من المغاربة ما زالوا يعتقدون و يؤمنون أن الفرنسية لغة العلم و التقدم و أن العربية لغة العمامة و المسجد و الجمود، و هلم جرا...

الفن و الأسلوب و التواصل

يعتبر التواصل من أبرز العوامل التي أنشأت علاقات اجتماعية بين الأفراد و دينامية بين الجماعات. و تكمن أهمية النشاط التواصلي في أن كل فعل اجتماعي يستند على مبدأ تبادل المعلومات، إما داخل إطار جماعة أو بين الجماعات. و لعل الحاجة إلى التواصل جعلته يمر بعدة مراحل نحو التطور المستمر(المشافهة - الكتابة - التدوين - النشر عبر وسائط الإعلام الجماهيري - النشر عبر الانترنت و على شبكات التواصل الاجتماعي) بحيث مكنت الأفراد و المؤسسات من تنظيم و تنسيق الأعمال و النشاطات من خلال تبادل معلومات وأفكار تشكل أولا وأخيرا مضمون الاتصال.

إذا كنت تبحث عن النجاح و الصعود إلى القمة، إذا كان هدفك أن تكون رجل اتصال ناجح و مؤثر فإن عليك أولا إتقان اللغة، ذلك المفتاح السحري لبوابة الحياة و السعادة و النجاح، فللغة أهمية كبرى في تفاعلات الحياة اليومية. إذا قمت بتحليل يومك فستجد أن أكثر من ٧٠ % منه يقوم على التواصل الشفوي مع الآخرين، سواء كان ذلك من خلال تفسير أو إصدار الأوامر أو الإقناع أو توجيه النصائح أو الأسئلة أو الأجوبة. إن معظم وقتك يمضي في الكلام و التعبير، و كلما صرت بارعا في التعبير عن نفسك بوضوح ودقة أمام الآخرين، و استخدمت لغة تزيل كافة الاحتمالات (سوء الفهم و الظن، التأويل الخاطئ، التسرع في الحكم...)، كلما صرت أكثر نجاحا في التأثير على الآخرين و توجيه أفعالهم.

الكلمات تدخل في إطار اللغة، التواصل الشفوي الذي أشرنا له أعلاه جزء لا يتجزء من اللغة، و يمكن أن نضيف لهذين العنصرين لائحة لا تنتهي من العناصر : نبرة الصوت، تعابير الوجه، المسافات بين الأفراد، لحظات الصمت، الصور و الأيقونات (و كلها عناصر تدخل في التواصل غير اللفظي).

إن ما نرمي إليه في هذا المقال ليس التعريف بالتواصل و أشكاله و أنماطه و أهميته، فهناك الكثير من الكتب و المقالات الجيدة المتوفرة بلغات مختلفة تتناول ذلك بكثير من التشويق و أحيانا بالتفصيل الممل. هدفنا أن نتقاسم معك، عزيزي القارئ، مجموعة من الأفكار حول موضوع يشغلنا مند مدة ليست بالهينة: الفن و التواصل.

هناك عدت محاولات علمية و أكاديمية لتعريف الفن و ماهيته و أهدافه و وظائفه. فلو رجعنا إلى الأصل في اشتقاق كلمة "الفن" باليونانية لوجدنا أن هذه الكلمة تعني

"النشاط الصناعي النافع بصفة عامة". ولم يكن لفظ الفن عند اليونانيين مقتصراً على الشعر والنحت والموسيقى والغناء بل كل ما يشمل الصناعات المهنية كالنجارة والحدادة والبناء. ولعل ما يشير إليه الفن عند اليونانيين هو حصيلة القدرة البشرية ما دام الإنسان هو الصانع فهو يستحدث الموضوعات والأدوات ويبتكر أشياء جديدة. و في السياق ذاته، فهم أفلاطون بأن الفن هبة مقدسة جاءت إلى الإنسان من العالم الحسي، وفهم مهمة الفنان على أنها أخطر وأعظم من مجرد التعبير عن الصورة الجميلة. ولم يكن أفلاطون هو أول من عبّر بفلسفته عن الاتجاه الديني العلمي في الفن، بل أنَّ الفلاسفة الذين سبقوه منهم من استطاع أن يضع النواة الأولى لهذا الاتجاه. و لقد عبّر أفلاطون عن الفن بأنه محاكاة، فقد كان يعتقد بأن للأشياء مراتب ثلاث أدناها الفن وأوسطها عالم الحس وأعلاها عالم المثل.

و من منظور آخر فإن الفن لغة استخدمها الإنسان منذ فجر التاريخ لترجمة التعابير التي ترد في ذاته الجوهرية وليس تعبيرا عن حاجته لمتطلبات الحياة رغم أن بعض العلماء يعتبرون الفن ضرورة حياتية للإنسان كالماء والطعام. و الفن وسيلة لإظهار الجمال والمحبة والترقي والسمو، وتأكيد إنسانية الإنسان لتعمير الأرض، وإنشاء إنسان أخلاقي يعيش في المستويات الرفيعة.و الفن تعبير عن الحياة بكل أبعادها وملكة التعبير في الإنسان هي الحياة. ويتخذ هذا التعبير شتى الأنواع وشتى المستويات ابتداء من العمل اليدوي إلى أعلى المهارات الإبداعية. و الفن أداة لمقاومة التدني والهبوط والسقوط إلى الحضيض، واستيقاظ النفوس لترى الجمال وتعمل بمقتضاه من خلال الحق والخير. و الفن موهبة منحها الخالق لكل إنسان لكن بدرجات تختلف بين الفرد والآخر بحيث لا نستطيع أن نصف كل شخص بفنان إلا من تميز عن غيره بالقدرة الإبداعية الهائلة، إذ أن الفن يدل على المهارات المستخدمة لإنتاج أشياء تحمل قيمة جمالية. و الفن إبداع بشري وصنع لأثر طابعه الجمال وغايته متعة الحواس، وهو إذ ينطلق من الذات لإبداع أشكال تعبيرية مبتكرة سواء بالرسم أو النحت أو النغمة أو الكلمة أو الرقصة فإنه يمثل صوت الفنان الذي غالبا ما يكون سابقا لعصره و الذي يعطي الانطباع لمحيطه أنه شبيه بذلك المجنون نظرا لتميز أفكاره، لكنه في الواقع يعتبر من أذكى الناس وأكثرهم خيالا وإحساسا، إذ هو ركيزة الحضارة والقائد الماهر لقاطرة التطور، لأن دخوله لأي مجال عملي أو علمي قد يحوله من العالم المعقول إلى العالم اللامعقول.

و الفن كما عرفه ليو تولستوي من الوسائل غير المباشرة لخلق التواصل بين الأفراد.
و الفن يلبي حسب شارل لالو مجموعة من الوظائف يمكن تلخيص أهمها في ما يلي :
تحقيق المتعة عن طريق اللعب؛ تطهير الانفعالات و تحويل الآلام إلى وسيلة لتحرير الذات و إحداث تغيير في النفس الإنسانية؛ السمو إلى الكمال و المثالية أي المساعدة على إبداع عالم أفضل؛ و تكرار أو تدعيم الحياة الواقعية لحفظ صورتها أو تقويتها.
وحالياً، تستخدم كلمة فن لتدل على أعمال إبداعية موجهة للجماهير كفن الرقص و الموسيقى و الغناء و الكتابة و التأليف والتلحين و التشكيل و المسرح و السينما.

ولقد بدأ الإنسان في ممارسة الفن منذ ٣٠ ألف سنة، وكانت الرسوم تتكون من أشكال الحيوانات وعلامات تجريدية رمزية فوق جدران الكهوف. هذا و وترجع الآثار الأولى للفن البدائي إلى العصر الحجري المتأخر، أي تقريبا بين ٤٠ ألف إلى ٢٠ ألف سنة قبل الميلاد. ومنذ آلاف السنين كان البشر يستعملون الزينة والمجوهرات والأصباغ، وفي معظم المجتمعات القديمة الكبري كانت تعرف هوية الفرد من خلال الأشكال الفنية التعبيرية التي تدل عليه كما في نماذج ملابسه وطرزها وزخرفة الجسم وتزيينه وعادات الرقص أو من الاحتفالية أو الرمزية الجماعية الإشاراتية التي كانت تتمثل في التوتيم الذي يدل على قبيلته أو عشيرته.

قلنا أن الرقص و المسرح و السينما من الفنون، و نريد أن نضيف أنها من أكثر الفنون شعبية و رواجا بفضل العولمة و سرعة الاتصال في الزمن الحالي و موضة الاستهلاك. و قلنا أيضا أن غايات الفن عديدة من ضمنها تهذيب الأحاسيس و السمو بالإنسان و البحث عن الجمال.

أي قيمة فنية إذا لعمل سينمائي أو غنائي يدعو إلى الإباحية باسم الحداثة و تعرية الواقع في مجتمع عرف عنه منذ مئات السنين الحفاظ على المظاهر الاجتماعية السليمة و كل ما يدخل في نطاق الأدب و "الصواب" و التمسك بتعاليم الدين ؟ أي قيمة مضافة لعمل "فني" يصور القبح بما هو أقبح و يستعمل من معجم اللغة المنطوقة و البصرية الفج و المباشر و الرديء ؟ هل تقتضي اللياقة الفنية أن يخاطب فنان ما جمهور الوطن بكلمات و صور تستفز أكثر مما تفتح أبوابا للنقد الهادف، و تهدم أكثر مما تبني، و تنحو في اتجاه معاكس تماما للخطاطات التأويلية السائدة لدى العامة ؟ هل الفن تصوير للواقع كما هو فعلا أو تصوير جمالي للواقع ؟ هل حرية الفن ترادف العبث و التخريب و التلاعب بالقيم ؟ هل من الضروري أن يفهمني سينمائي معين أن

فلانة تجسد دورا لبائعة من بائعات الهوى و هو حريص أن يترجم هذا المعنى (الذي يسمح لي ذكائي و حدسي كمشاهد أن أفهمه من خلال التضمين و السياق السردي) بسيل من اللقطات الصادمة : كلام ساقط، و ابتذال و مشاهد جنس و خلاعة ؟

" الأسلوب هو الإنسان" كما يقول هوفمان، وهذه العبارة حول الأسلوب ليست وقفاً على الكتابة بل هي كل ما يصدر عن الإنسان سواء من حيث التعبير عن انفعالاته أو ردود أفعاله . وقد يتحدث شخصان عن قضية واحدة بكل تفاصيلها لكنها تتبدل جذرياً تبعاً لأسلوب معالجتها، وقد يسيء شخص إلى قضية عادلة إذا أخطأ التعبير عنها، فالمسألة ليست منوطة بالنوايا فقط. ومنذ بدأ الإعلام بمختلف أشكاله يستفيد من السايكولوجيا أصبح يحرص على كيفية القول وليس على ما يقال فقط . وأحياناً يذهب المؤرخون إلى ما هو أبعد من كل ذلك، ويتعرفون من خلال الأسلوب على المستوى الحضاري والسياسي في فترة ما. وعلى سبيل المثال، حين كتب المؤرخ جيبون عن سقوط الإمبراطورية الرومانية وجد من يقول له إن أسلوب معالجته للسقوط يشي أيضاً بسقوط الفترة التي ينتمي إليها. و من المؤكد أن الاستخفاف بالأسلوب سواء في وسائل التعبير أو في حياتنا اليومية يقود إلى السطحية و النمطية المضجرة، فالأهم من القول أحياناً هو كيفية التعبير عنه. و بناء على هذا الطرح هل الفن هو أن يتم تصوير الحياة اليومية لبائعات الهوى و المهمشين و المنحرفين بأسلوب يهوي بالفن إلى أسفل سافلين ؟ هل هذا أسلوب فني ؟ هل هذا هو الفن ؟؟؟

الخطة الخماسية لإدارة الغضب

ليكن شعارنا في تصريف التوتر و تفريغ شحنات الغضب التحلي بالهدوء و ضبط النفس. ليكن شعارنا : "إننا نملك زمام الأمور و نستبدل الانفعال بوضع الأحداث في ميزان العقل و الحكم بعد التمهل و التفكير". يقول النبي صلى الله عليه و سلم : (ليس الشديد بالصُّرَعَةِ ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب). والصُّرَعة: هو الذي يغلب الناس بقوته. كلنا يعرف ماذا يقصد بالغضب. من منا لم يعايش هذا الانفعال ؟ بل من منا لم يسيطر عليه الغضب في بعض المواقف وفقد معه تبصره بعواقب أفعاله ؟ الغضب انفعال إنساني عادي و طبيعي، بل انفعال صحي في الكثير من الحالات. ولكن عندما يصبح الغضب خارج إطار القدرة علي ضبطه أو السيطرة عليه وبالتالي عندما يتحول إلى أداة تدمير هنا فقط يقال أن الغضب انفعال سلبي مدمر يوقع الإنسان في الكثير من المشاكل التي قد لا يجد لنفسه خلاصاً منها : مشكلات في العمل؛ مشكلات حادة في العلاقات الاجتماعية المتبادلة مع الآخرين؛ ومشكلات في نوعية وجودة الحياة بشكل عام.

لقد حذر عدد من الأطباء البريطانيين من تفشي ظاهرة الغضب المصحوب بانعدام السيطرة على المزاج مؤكدين أنها تعد مشكلة كبيرة علي الرغم من أن أحداً لا يعتبر أنها تحتاج علاجاً. و قال الأطباء أن عدم التمكن من السيطرة على الغضب أصبح ظاهرة تتزايد وتتسبب بارتفاع أعداد الأعمال الإجرامية وتفكك العائلات بالإضافة إلي المشاكل الصحية الجسدية والعقلية. و جاء في دراسة حديثة أجراها بنك المعلومات "كاهوت" على شبكة الإنترنت أن فقدان الأعصاب الناتج عن الغضب يكلف الاقتصاد البريطاني ١٦ مليار جنيه إسترليني في العام. وتقول الدراسة نفسها أن من يفقدون أعصابهم يحطمون أكثر ما يحطمون الأدوات الفخارية والكؤوس. وتقول "دونا دوسون" المتخصصة في علم النفس أن الغضب شيء معقد جداً وسببه في أكثر الأحيان هو الخوف من الخسارة، أو الخوف من الإصابة، أو حتى الخوف من خيبة الأمل، و أن الغضب الذي لا نعبرعنه يؤدي إلى إفراز هرمونات تضعف نظام المناعة بتدمير خلاياها الرئيسية.

إذا فكرت قليلا في كثير من المشاكل التي يتخبط فيها مجتمعنا المعاصر (جرائم قتل، حالات طلاق بالآلاف، شجارات لأتفه الأسباب، تبادل للشتائم لأقل الهفوات...)، لو فحصت مليا جذور هذه المشاكل و نظرت حولك، في محيطك القريب، في دائرة

أصدقائك و عائلتك و علاقاتك المهنية، لوجدت أن الغضب هو الدافع الرئيسي لعدد لا يستهان به من الأزمات. لنفحص بعض ما جرى في المغرب في الأسابيع الأخيرة و نكتشف كيف أن الغضب كان سلطان الانفعالات التي طفت على السطح. كل واحد منا عاين ما تعرض له المغرب مؤخرا من استفزاز شديد في معتقداته و منظومة قيمه على يد أفراد و جماعات و مؤسسات مختلفة : فيلم "الزين اللي فيك" للمخرج نبيل عيوش ؛ الحفل الغنائي الراقص للمغنية جنيفر لوبيز، القبل الساخنة أمام ضريح محمد الخامس لفتاتي "فيمن"...هذه الأحداث التي يقول البعض أنها مؤامرة دبرتها أطراف خارجية بهدف زعزعة استقرار المغرب السياسي و الديني و أن بينها خيطا ناظما فجرت غضب الملايين من المغاربة، و هذا أمر مفهوم و له أسبابه و دوافعه المعروفة. إن التفاف المغاربة حول رصيد القيم المشترك و الاستماتة في الذود عنه مدعاة للفخر، لكن ما يؤسف له أن تتحول انفعالات الغضب إلى تهديدات بالقتل و كيل لأقذع الشتائم لمن نختلف مع أفكارهم.

ليكن شعارنا إذا في تصريف شحنات الغضب أن نستبدل الانفعال بالاعتدال. ليكن هدفنا أن نتعلم كيفية إدارة الغضب. و إليك فيما يلي خطة من خمس نقاط للوصول إلى ذلك:

- أولا. عندما يستبد بك الغضب يجب أن تبذل قصارى جهدك للخروج من هذه الحالة الانفعالية. ماذا عساها أن تكون هذه الأسباب ؟ اطرح على نفسك أسئلة مفيدة من قبيل : "هل الغضب يحفزني ؟ / هل الغضب يساعدني على حل مشاكلي ؟ / هل الغضب يدفعني إلى التحكم في الأمور و تجنب المفاجآت ؟ "

- ثانيا.تعلم أن تركز على أسباب غضبك و جميع السبل الكفيلة بتجاوزك له (الانهماك في العمل، الاتصال بالأصدقاء، الخروج للتنزه و الاستجمام، الهوايات، التمارين الرياضية، تغيير الوضعيات الفسيولوجية، بل حتى الخلود إلى النوم إذا تطلب الأمر).

- ثالثا.حاول أن تكون واعيا بمسألة شديدة الأهمية : نتائج الغضب مدمرة للإنسان على كافة الأصعدة فالغضب يجعلك تخسر صحتك وعلاقاتك وحياتك الشخصية والمهنية فالشخص الغضوب شخص يصعب التعامل معه لذلك تقع على كل شخص مسؤولية تعلم كيفية إدارة غضبه فالحياة مليئة بالمنغصات ولا بد أن نعرف كيف نتعامل معها.

- رابعا. من الأمور التي قد تتسبب في انفعالنا واستثارة غضبنا غضب الآخرين وتأثرنا بهم، وأفضل وسيلة للتعامل مع الشخص الغاضب أن نسلك السلوك العقلاني لحل المشكلة، ففي حالة انطلاق الشخص الآخر في ثورة الغضب علينا تقديم رسالة دعم في هذه المرحلة وعدم الرد عليه بأمر يزعجه حتى يرجع لهدوئه بالتدريج ومن ثم يمكن حل المشكلة وطرح نقاش عقلاني. فانفعال الغضب يشبه تماما كرة الثلج يبدأ صغيرا وبالاستمرار في التصرف نفسه ينتهي كبيرا.

- خامسا. تخبرنا الإحصائيات أنه يموت كل عام أكثر من ٣٠٠ ألف شخص في الولايات المتحدة الأمريكية فقط. وهؤلاء يموتون موتاً مفاجئاً بالجلطة القلبية. وتؤكد الأبحاث أن الغضب هو السبب الرئيسي في الكثير من أمراض القلب وضغط الدم والتوتر النفسي. ولكن كيف يقترح العلماء علاج هذه المشكلة التي هي من أصعب المشاكل التي يعاني منها كل إنسان تقريبا ؟ إنهم يؤكدون على أهمية التأمل والاسترخاء ويؤكدون أحياناً على أهمية الابتعاد عن مصدر الغضب والانفعالات، وبعض الباحثين يرى أن علاج الغضب يكون بالتدريب على ألا تغضب، فكل من يغضب تتسارع دقات قلبه ويزداد ضغط الدم لديه، و بناء على هذا إذا كنتَ منفعلاً أو غاضباً أو متوتراً اذكر المولى واستحضر ملكه و عظمته و تفاهة ما تحس به في خضم المشاكل الحقيقية التي يعاني منها ملايين البشر في صمت : من بترت ساقه، من فقد أبناءه في زلزال مدمر، من أصيب بمرض عضال لا شفاء منه...

المثال و الابتذال في الفن

إن أهم التحديات التي عليك أن تكسبها إذا أردت أن تكون رجل اتصال ناجح و مؤثر (و ذلك ينطبق على السينمائي و المغني و الموسيقي و الرسام و غيرهم من رجال و نساء الفن) هي انتقاء الطريقة المناسبة للتعبير عن أفكارك و تمريرها إلى أقصى شريحة من الناس، فلن تستطيع أن تلفت انتباه شخص ما لفترة طويلة إذا كنت تحدثه عن موضوع بأسلوب لا يهمه أصلا. قلنا في مقالنا السابق " الفن و الأسلوب و التواصل" المنشور في هسبريس بتاريخ ٥ يونيو ٢٠١٥ ما يلي : ("الأسلوب هو الإنسان" كما يقول هوفمان، وهذه العبارة حول الأسلوب ليست وقفاً على الكتابة بل هي كل ما يصدر عن الإنسان سواء من حيث التعبير عن انفعالاته أو ردود أفعاله . وقد يتحدث شخصان عن قضية واحدة بكل تفاصيلها لكنها تتبدل جذرياً تبعاً لأسلوب معالجتها، وقد يسيء شخص إلى قضية عادلة إذا أخطأ التعبير عنها، فالمسألة ليست منوطة بالنوايا فقط). هدفنا هنا، في هذا المقال الجديد، الاسترسال في الدفاع عن فكرة محورية : أهمية الأسلوب الجيد في التواصل الفعال. بعبارة أخرى، كيف أن المحتوى الجيد لا يكفي، بل من الضروري أن يستند على الأسلوب المناسب، أي ذلك الطريق السريع نحو كسب العقول و القلوب.

في الحياة اليومية، تبدأ معظم محادثاتنا بعبارات من قبيل: "كيف حالك ؟ / هل أنت بخير ؟ صحتك جيدة ؟ "، و الرد يكون في غالب الأحوال " أنا بخير" و لو كنت في أسوأ أحوالك المادية، العاطفية أو الروحانية. إن المجاملات التي تجد أصلا لها في الكلام الطيب و السؤال عن الصحة و الحالة المزاجية و المصافحة الودودة و الابتسامة العريضة و المرح و التودد... كل ذلك له دور أساسي في تكوين الصداقات و صيانة العلاقات الاجتماعية و حمايتها من البرود و الصدأ. إن هذه العناصر و غيرها طبعا لهي بامتياز بهارات التفاعلات الإنسانية، و تؤسس لأسلوب حضاري في التعامل و لفن أصيل من فنون العيش. لكي تستطيع أن تربح اللعبة المزدوجة للباقة و التواصل الناجح، يجب أن تدخل إلى عقل الآخر لكي تكتشف رغباته، انك تحتاج عموما إلى أن تجيب عن أسئلة كثيرة: ما الذي يحفز الآخرين ؟ كيف أصل إلى الفهم و التفاهم بدل الشقاق و التصادم ؟ كيف أكون ملاحظا ذكيا و أقرأ حاجات الناس في عيونهم ؟ إذا وفقت في الإجابة عن هذه الأسئلة تكون قد قطعت الخطوات الأولى نحو السيطرة على التواصل لصالحك. صدقني، لا تحتاج أن تكون طبيبا

نفسانيا أو عالما في السوسيولوجيا أو خبيرا في التنمية البشرية لكي يتسنى لك فهم الطبيعة البشرية بحاجاتها و غرائزها و رغباتها الدفينة. إن التقنيات التي ستستعين بها يسهل فهمها و تطبيقها، و بمجرد أن تمتلك ناصيتها ومعها الأسلوب الفعال في التعبير والتخاطب، ستعود عليك بالنفع و تصبح إنسانا جديدا.

هناك الفن الحقيقي، الفن الهادف، المستند على الأسلوب الراقي في مخاطبة الوجدان، المطهر لروح الإنسان و المسافر به في آفاق الاكتشاف و البناء، و هناك الابتذال في الفن. هناك الفن الذي يعرف على أنه ممارسة لأسمى مستويات الحرية إذ بواسطته يمارس الإنسان أقصى درجات التحرر، فيتحرر من قيد الجسد بالرقص، و من قيود الرتابة بالموسيقى، و من قيود المادة بالفن التشكيلي، ومن قيود اللغة التداولية بالشعر والأدب، فيعيد بناء عالمه ويطور ثقافته، من أجل هذه الحرية المبدعة التي لا توجد إلا في الفن. هناك الفن الذي يفتح أمام الإنسان آفاقا للتعبير و الابتكار و ضخ دماء جديدة في شرايين الإبداع مع تحمل المسؤولية و دون إلحاق أضرار مادية أو معنوية بالمجتمع، و هناك الفن الذي يزعم أنه كذلك، لكن همه انتهاك القواعد و الضوابط الأخلاقية، و قد يعمل بعض مروجيه على زرع الفوضى و الفتنة مستهدفين قيم و قناعات شعب ما، خلف ستار حرية بلا حدود. الحريّة كمفهوم تشمل وجود إطارٍ عام لا يتحكم بالحرية الشخصية، ولكن ينظمها ويحفظ حريات الآخرين. فكل إنسانٍ له حريته، ولكن حريّة الشخص تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين. فلستَ وحدك الحرّ في هذا العالم، ولكن كل البشر أحرار ولهم الحق في اتخاذ قراراتهم؛ على ألا تؤثر على الآخرين. إنّ إساءة استخدام مفهوم الحريّة؛ لهو من أكبر البواعث على انتشار الفوضى والفساد. وغياب الضوابط المادية والمعنوية للحريات؛ يجعل من ممارسة الحريّة أمراً يشبه الحرب الشعواء، فيكون البقاء للأقوى والحرية الغالبة هي حرية صاحب القوة والنّفوذ، وتنتفي هذه الصّفة عن عامّة النّاس. فإذا أعطى شخصٌ لنفسه الحق أن يُخالف قوانين السَّير مثلاً لأنه حرّ؛ فلن نتوقع شيئاً غير الكثير من حوادث المرور، وإذا قرَّر شخصٌ لأنّه حرّ أن يشتم هذا ويهين ذاك و يعتدي على شرف الآخر أو ماله أو أسرته، سوف نجد أنفسنا أمام مجتمع موزع بين العدوان و الانتقام.

إن هناك بعض الأصوات تتعالى في المغرب لرفع الرقابة عن الفن و اعتبار هذا الأخير لا يتحقق جوهره إلا خارج القيود و داخل نمط تعبيري لا يعترف إطلاقا بالحدود : الدين، و منظومة القيم، و المسموح و الممنوع في العلاقة بالجسد، و التفاعلات بين الرجال و النساء في المجتمع، و هلم جرا... إن الفن الذي يتجاهل

تاريخ بلد ما وتكوينه الاجتماعي وثقافته و مخزونه الحضاري و يسعى إلى ضربه أو الاستهزاء به عن قصد أو عن جهل ليستحق إعادة النظر في توصيفه على الأقل في المستوى الاصطلاحي : هل هو فن أم شيء آخر. قد تكون أخلاق المغاربة مختلفة و كذلك نظرتهم للعالم و طرائق التعبير و فهم موروث القيم، ولكن الذي يتفق عليه كل المغاربة هو أن الحياء والاحترام المتبادل داخل الأسرة بين الآباء و الأبناء قيمة لا جدال فيها ، لذلك فإن الأسر المغربية اليوم أو غدا أو بعد غد ستواصل رفض التفرج الجماعي في التلفزيون أو السينما (على سبيل المثال) على كل منتوج سمعي بصري يروج لمظاهر العري والممارسات الجنسية والكلام الساقط و أفعال و إشارات البذاءة. إن المغرب ليس هو أوروبا أو فرنسا حتى نسمح لبعض "الفنانين" أن يستهدفوا ثقافته و قيمه العريقة باسم الحرية. لسنا مجتمعا فاضلا أو كاملا. مستحيل أن نكون كذلك، لكن من يخلطون خلطا متعمدا بين حرية التعبير وحرية التخريب، لا يقيمون في واقع الأمر أيَّ وزن لما نسميه بحس المسؤولية وقيم المجتمع التي إن مست بسوء أثارت حفيظة المجتمع، بل ربما القلاقل و الاحتجاجات و زوابع الغضب و الاستنكار. إن الحرية في السينما و المسرح و الغناء و الرقص و الكاريكاتير و تبادل عبارات و أحاسيس الحب مكفولة بقوة القانون، لكن بعضا من الوصاية و عدم السماح بتخطي الخطوط الحمراء لا يضر الفنان في شيء بل ينفعه و معه المجتمع ككل ، طالما أن الحرية مسؤولية، أولا و أخيرا.

الدين و تحديات العصر

نهدف من خلال مقالنا هذا (الدين و تحديات العصر) أن نقدم رؤية جديدة فعالة لدور الدين في الحياة. لا نزعم أبدا أن كلامنا نهائي، و أن الحلول كاملة، و لكنها على الأقل تجريبية. ورد في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ".الفطرة هنا هي فطرة الإسلام و بما أن الفطرة هي الحالة التي خلق عليها النوع الإنساني، فهي صالحة لتقبل الحق والخير، وهي صالحة لصدور الفضائل الإنسانية. الدين أيضا أمر محفوظ في فطرة الإنسان، و جميع ما جاء به على المستوى الفكري والمستوى العملي انما هو مطلوب لتلك الفطرة للوصول إلى الكمال والسعادة الدائمة.

نريد أن نقدم هنا أفكارا جديدة تحتاج نقاشا و سجالا و تفكيرا و تفاعلا بيني و بينكم. نحن نعيش مشكلة دينية كبيرة. لقد حصل زلزال مدمر لنظرة الناس للدين، للإيمان، فهناك عدد كبير من الناس اهتز إيمانهم بشدة أمام مشاهد و وقائع التقتيل و التنكيل بالأبرياء على يد داعش و ما شابهها من الجماعات ، أي نعم، لقد حصل ارتباك كبير، و فقد الكثير من المؤمنين حماسهم و اعتقادهم في دور الدين المحوري في استنباط حلول عملية و مريحة لمشاق الحياة. بين داعش و القتل و سفك الدماء باسم الدين و بين الإلحاد و التكفير و "ما صايمينش" و الدعوة إلى الإباحية و الفن العاري اللامحدود و المناداة بعلمنة المجتمع، يقف ملايين من الحيارى و هم يتساءلون : ما هو الدين ؟ ما هي مقاصد و أهداف الدين و حدوده في عالم مليء بالكراهية، فقير من أصوات السلام و الحب و التسامح ؟ هل الإسلام أن تنسف جماعات لا نحتاج إلى تسميتها تراث الأمة و ثوابت الدين ؟ هل الإسلام أن يحرق الأحياء في الأقفاص باسم إعلاء كلمة الحق و الدين ؟ هل الإسلام أن ينحرف الجهاد من ترويض النفس و التحلي بقوة الإرادة و العزيمة إلى "جهاد" آخر شعاره القتل و إراقة دماء الأبرياء و الترويع ؟

نريد أن نوجه كلامنا إذا من خلال هذا المقال إلى أقصى عدد ممكن من الشباب، ذكورا و إناثا، إلى سواعد هذه الأمة، نريد أن نخاطب الآلاف، بل الملايين (لم لا ؟)، متسائلين: ما هو الدور الفعلي للدين في الحياة ؟ دور الدين في الحياة يمكن فهمه من خلال نقطتين رئيسيتين: أولا. تلبية حاجات المجتمع العاطفية و الفكرية و المادية؛

ثانيا. الإجابة الشافية و الشاملة عن أسئلة العصر، لأن لكل عصر مشاكله و همومه و تكنولوجيات التعاطي مع أهم قضاياه. لكن، في الوقت الحالي، فهمنا للدين ينأى عن هاتين النقطتين، أي أنه لا يلبي حاجات المجتمع من جهة، و لا يساير تحديات العصر. النتيجة الطبيعية لذلك أن يحصل التجافي بين الدين و الحياة، أن تخلق فجوة بين الاثنين. إيقاع حياتنا في هذا القرن سريع جدا أساسا بفعل ثورة الاتصال و التكنولوجيا، لكن كيف هو إيقاع فهمنا للدين ؟ لماذا هذا الجمود في نظرة الكثير منا للدين، بحيث أصبح هذا الأخير مرادفا للعبادات فقط، للحزن، لقلة الفرح، و الإقبال المتوجس على التجديد و التطوير في شتى مناحي الحياة ؟ يقول الرسول صلى الله عليه و سلم : "يبعث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها"، فهل نحن متدينون أكثر من خير الورى حتى نخشى التجديد ؟

نريد أن يشمل التجديد كل مناحي الحياة : العمل و العلم و الإبداع و العلاقات الاجتماعية و تنمية الذات. نريد أن يكون التجديد أيضا تغييرا لنظرتنا للإنسان المتدين : فهو ليس بالضرورة ذلك العابد الحزين الملتحي المجلبب المنزوي في المساجد المنقطع فقط للصلاة و التفكر، المخالط قليلا للناس، الذي يقل كلامه و يكثر أرقه و تفوح من فمه رائحة السواك و من ثيابه أريج المسك. التجديد الذي نأمله ميسور و ممكن، و نتائجه فعالة و فورية بالنسبة لكل من يلتزم به. التجديد هو إعادة القيمة للدين باعتباره دين الإقبال على الحياة (دون ضرب الثوابت طبعا). كيف لنا أن نفهم هذه المسألة ؟ فهمنا لها مشروط بتحقيق التوازن بين العناصر الخمسة للكائن البشري: الجسد، العقل، القلب، النفس و الروح.

لا نريد كلاما نظريا، و لكن الأفضل من ذلك ترجمة الفكرة المجردة إلى سلسلة من الأسئلة ذات البعد العملي، و تغيير واقعنا المعيش بما أمكن من الحلول البسيطة و الممكنة في الآن نفسه. في عالمنا العربي الإسلامي، كم هي النسبة المئوية للأشخاص الذين يكدون و يعملون قرابة ٨ إلى ٩ ساعات كل يوم بغرض أن يكونوا منتجين و مساهمين في تحسين جودة حياتهم ؟ كم هي نسبة الطلبة الذين يدرسون حبا في العلم و ليس بهدف الحصول على شهادة تساوي وظيفة ؟ كم عدد المداومين على مطالعة الكتب و النهل من معين العلوم، خارج المقررات المدرسية ؟ و ما هو الحال يا ترى فيما يتعلق بالعمل الجمعوي و التطوعي ؟ كم هناك من شخص يحرص على ممارسة الرياضة ٣٠ دقيقة كل يوم، أو على الأقل مرتين إلى ثلاث مرات في

الأسبوع ؟ هل نحن نوازن بين نداء الوجدان و سلطان العواطف و ملكة العقل في اتخاد القرارات الأكثر أهمية ؟ إلى أي درجة نحن معتدلون بين رغبات الجسد و مراقي الروح ؟ هل العمل بالنسبة لنا إكراه من أجل كسب لقمة العيش أو إبداع و ارتقاء بالمجتمع و إخلاص لوجه الله و تحقيق للذات ؟ لماذا فقدنا (على الأقل أغلبنا) التحكم في وقتنا و ميزانيتنا و أوزاننا و حيويتنا ؟ لماذا هناك عدد لا متناه من دعاة الفضائيات يغرقون المشاهدين بقصص الأمم السالفة و سيرة السلف الصالح و بمواعظ الحلال و الحرام (من قبيل لا يجوز النظر إلى وجه المذيعة المتبرجة في التلفزيون، و من باب لا يجوز انتعال الحذاء المصنوع من جلد الخنزير...)، و الفتاوى على الهواء و التركيز على عذاب القبر و أهوال القيامة دون الالتفات إلى أبرز مشاكل أمتنا اليوم : انهيار الأخلاق، و فقدان قيم العمل، و الغش و التبعية و التواكل و ندرة نماذج الاقتداء ؟

الصيام و إدارة الوقت

كلنا نحب رمضان. السكينة و ساعات الصيام الطويلة و السلام الداخلي... دوي مدفع الإفطار و الطعام الشهي و الموائد المزينة بما لذ و طاب و التراويح في المسجد و إطعام المحتاجين و صلة الأرحام. كلنا نحب هذا الشهر الذي يجود على الصائمين بفائض هائل من الوقت و بمساحات شاسعة للعبادة و الذكر و التأمل و إخراج الصدقات و فعل الخير في كل الأشكال و التجليات. كلنا نلاحظ شيئا مهما في رمضان: بداية الصوم محددة... ونهايته كذلك ، و الإفطار و السحور لهما وقت معين، والمسلم الصائم يعمل على تنظيم ساعات الليل والنهار بين العمل و الفريضة المقدسة و العبادة و الحياة الاجتماعية و الأوقات المخصصة للراحة. كلنا نلاحظ أيضا أن الكثير من الصائمين يواجهون صعوبات جمة في إدارة الوقت تزجية لساعات الإمساك المديدة. صائمون يقضون نصف يومهم في النوم، ١١ أو ١٢ ساعة متواصلة ؛ صائمون يحلو لهم إدمان لعب الكارطة ساعات طوال و همهم الأساسي "يجيبوا الفطور" ؛ صائمون يعوضون ساعات العمل الست المبرمجة إداريا في الشهر الفضيل بساعتين أو ثلاث بحجة أن الصوم مرهق و أن شمس صيف هذا العام حارة لاهبة تخبو معها أدنى رغبة في العمل؛ صائمون آخرون يقبلون على العمل و العبادة بهمة عالية و لسان حالهم يقول : "بحال رمضان بحال الأيام الأخرين، بالعكس ف رمضان كا نحس براسي خفيف و مركز و كا نبغي نخدم و نعطي كتر..."، صائمون خاملون؛ صائمون مجدون، قليلون أو كثيرون، لا يهمنا ذلك بقدر ما هو مهم أن ندرك أن لكل طائفة طقوسها الرمضانية الخاصة في إدارة الوقت.

ممتاز ! و الآن ماذا عنك أنت عزيزي القارئ ؟ ماذا تعني لك إدارة الوقت ؟ ما هي خطتك السحرية و الفريدة في استثمار الوقت ؟ في حياة كل يوم، هل الوقت سلاح بين يديك أو عدو يتهددك و يقلق راحتك ؟ هل إدارة الوقت بالنسبة لك تفكير و تخطيط و برمجة و حساب أم أنك تؤمن بالارتجال و بنظرية (الفوضى الخلاقة) ؟ هل أنت من الأشخاص المنظمين المتوكلين أم أنك تترك لرياح الحياة أن ترسم وجهة سفينتك ؟ ما نرمي إليه في مقالنا الجديد (الصيام و إدارة الوقت) مسألة رئيسية : أن نتقاسم معك أقصى عدد ممكن من المعلومات و النصائح المفيدة حول إدارة الوقت. لذا فإن هذا المقال هدية مني لك، و عربون للمودة التي تجمعنا، و تعبير مني عن متعة مخاطبتك من خلال هذا المنبر. أتمنى أن تقبل مني هذه الهدية، مع التركيز على أن كلامي ليس

نهائيا، و لكنه دعوة لأن تستأنس بمجموعة من الاستراتيجيات الثمينة حول أغلى نعمة نمتلكها في الحياة : الوقت. أريد أن أقدم هنا أفكارا جديدة تحتاج نقاشا و سجالا و تفكيرا و تفاعلا بيني و بينك. إذا كنت مستعدا فلنبدأ معا المغامرة !

لقد جاء ديننا الإسلامي داعياً إلى استثمار الوقت، فأقسم الله تعالى به في فواتح عدد من سور القرآن الكريم ومن ذلك (والفجر)، (والضحى)، (والعصر) ويدل قسم الله بالمخلوق على عظم شأن المقسم به. والوقت في الإسلام له مكانة عالية، فالمسلم مطالب بالمحافظة على كل لحظة من عمره، واستثمارها بما ينفعه في الدنيا بإعمارها، وفي الآخرة بما يسعده فيها. يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؛ وعن علمه ما فعل به؛ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؛ وَعَنْ جِسْمِهِ فيما أبْلاهُ ". إن التدبر في هذا الحديث الشريف لا يعني أبدا و فقط الوقوف على أهمية الاستثمار الحكيم و العقلاني للوقت، إنه يتجاوز هذا المفهوم لما هو أرحب و أعمق: الوقت ثمين جدا لا يقدر بأموال الدنيا؛ الوقت هو الحياة. لذا فإن الإدراك الذاتي للوقت هو إدراك مباشر و فعلي لجوهر الحياة. و هذا يعني أن تتجشم عناء طرح أسئلة كبرى في هذا السياق : هل أحيا فقط دون عقلنة و إدارة فعالة للوقت أم أني أنجرف مع التيار و أهدر الوقت بحجة أن الجميع يفعل ذلك ؟ هل لأن الوقت في مواقف كثيرة يمر بطيئا فذلك يعني إطلاقا أنه غير مهم ؟ بالمقابل هل السرعة هي المطلوبة دائما في إنجاز الأعمال أم أن التريث مفتاح آخر لعدد لا يستهان به من الحلول ؟ و بين هذا و ذاك ما الحدود بين الفعالية و الحكمة في اتخاذ القرارات في ضوء مفهوم إدارة الوقت ؟

إن الإدراك الذاتي للوقت هو مفتاح الإدارة الفعالة له لأننا جميعا لا نتساوى في ساعات العمل الفعلية في يوم العمل الواحد. ويأتي الوقت على قمة عناصر ومؤشرات التقييم، حيث نربط النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف بالمدى الزمني المحدد لذلك، والقدرة على الانتقال من مهمة لأخرى في التسلسل الزمني المحدد لها طبقا للخطة. وحتى الحداثة والتقدم في تفكيرنا وتناولنا للأمور تتلخص في الإجابة عن سؤال هام هو: هل نعيش الحاضر أم مازلنا نعيش الماضي ؟ و على ذكر الإدراك، فإن أي عمل تريد تنفيذه ينبغي قبل كل شيء أن تدرك فوائده، ليكون العمل فعالاً و يعطي النتائج المطلوبة. فعندما تتأمل القرآن تجد أن المولى يرغبنا في الجنة، و عندما يأمرنا بعمل ما، يتبعه بالفوائد التي سنجنيها من هذا العمل. و عندما ينهانا عن عمل ما، فإنه يوضح لنا سلبيات هذا العمل و أضراره و الآيات كثيرة في هذا

المجال ، لعلك تتفق معي في ما سلف ذكره : إدراك الوقت مهم، لكن الأكثر أهمية الاستفادة من الوقت فهي التي تحدد الفارق بين الشخص الناجح والفاشل ، فالصفة المشتركة بين الأشخاص الناجحين هي قدرتهم علي الموازنة بين الأهداف والواجبات وهذا لا يتحقق إلا من خلال إدارتهم الناجحة لذاتهم ، عن طريق وجود هدف أو عدة أهداف ورسالة في الحياة يريدون تحقيقها ، وإلا فلا حاجة لتنظيم الوقت بدون وجود هذه الأهداف، لذلك فمن المطلوب أن يحدد كل واحد منا هدفه ورسالته في الحياة ، ويسأل نفسه ما الذي يريد أن يكون عليه في السنوات الخمس، العشرة أو العشرين القادمة (بل في الحياة كلها) ؟ وما الذي يريد تحقيقه بالضبط ؟

الحديث معك، عزيزي القارئ، ممتع و كثير الإفادة، و قبل أن أختم هذا المقال، على أمل اللقاء بك في فرصة أخرى، اسمح لي أن أضع بين يديك الاستراتيجية السداسية لإدارة الوقت :

أولا/ فكر في أهدافك. حدد أهدافك وفكرجيدا في ماذا تريد، وضع لك رسالة في الحياة.

ثانيا/ أنظر إلى أدوارك. قد تكون أبا ، أما ، أخا، زوجا، شريكا في مشروع، مستشارا، صاحب فكرة مبتكرة، فاعلا جمعويا و قد تكون موظفا أو عاملا أو مديرا. و عليه يجب أن تعطي لكل دور حقه وتعرف ما عليك من واجبات مع الموازنة بين جميع أدوارك في الحياة.

ثالثا/ حدد هدفا لكل دور. حدد أهدافك في كل دور أنت معني به في حياتك وحدد ماذا تريد أن تقدم لهذا الدور وما تريد أن تكون عليه.

رابعا/ نظم. ضع جدولا أسبوعيا للأهداف الضرورية المراد تحقيقها، ولا بد أن تكون الأهداف شاملة لكل دور معني أنت به في حياتك، فهناك أهداف عائلية و مهنية و صحية رياضية و روحانية، و القائمة طويلة.

خامسا/ نفذ. حاول الالتزام بما وضعته من أهداف في بداية الأسبوع ولا تيأس إذا لم تنفذ أهدافك كاملة ، فبالتمرين والصبر والمثابرة سوف تحقق نتائج مذهلة.

سادسا/ قيم نفسك. في نهاية كل أسبوع و شهر و عام قيم نفسك وانظر إلي جوانب الإخفاق وتجنبها.

عودة إلى "الصيام و إدارة الوقت"

هذا مقال جديد أسعد باهدائه لك، عزيزي القارئ، و نحن تفصلنا عن نهاية شهر الصيام أيام قليلة. تناولنا في مقالنا السابق (الصيام و إدارة الوقت) المنشور في هسبريس بتاريخ ٥ يوليوز ٢٠١٥ بعمود "كتاب و آراء" تيمة الوقت و حصل لنا شرف تقاسم مجموعة من النصائح و الاستراتيجيات الثمينة معك. و نظرة لأهمية هذا الموضوع، نعود إليه في هذه السطور، بنفس جديد، هدفنا في ذلك أن نضع بين يديك أفكارا فريدة و خططا جديدة لتنظيم الوقت بشكل فعال و مفيد في حياتك الخاصة و المهنية، فهل أنت مستعد لتنطلق معي في رحلة أخرى ؟

لماذا هناك عدد كبير من المغاربة يصرون على التحلي بالمزاج السيء في رمضان بحجة أن العمل خلاله لا طائل من ورائه و أن زمن الإنتاج فيه يجب أن يتعطل ليترك المجال لأنشطة ذات أولوية قصوى كالنوم و الراحة و الصلوات و التفكر ؟ لماذا يفشل كثيرون منا في إدارة الوقت الرمضاني و يهبط لديهم إيقاع العمل المنتج إلى ما يقارب الصفر ؟ هل شهر الصيام معناه الكسل و قلة العمل و التذرع بحجج واهية لاستبدال النشاط بالخمول و الحيوية بالفتور ؟ ما موقف ديننا من ثقافة الكسل و التراخي على مدار شهر الصيام ؟

لا نرمي في مقالنا هذا إلى أن نجيب بشكل فوري و قاطع على كل هذه التساؤلات، فالمجال مفتوح أمامك أولا، لتفكر معي في حلول عملية لآفة الكسل المصاحبة للشهر الفضيل لدى عدد هائل من مواطنينا في المغرب، بل في العالم العربي بأسره. إنك، يا صديقي العزيز، مدعو، لأن تدلي بدلوك في هذا النقاش بما شئت من أفكار تنور لنا سبل التفكير في الموضوع الذي نقترحه عليك. أتمنى أن تقرأ لي بما يكفي من اليقظة و الانتباه هذه السطور، مع التركيز على أن كلامي ليس نهائيا، و لكنه دعوة لأن تستأنس بمجموعة من الاستراتيجيات الثمينة حول أغلى نعمة نمتلكها في الحياة : الوقت. أريد أن أقدم هنا أفكارا جديدة تحتاج نقاشا و سجالا و تفكيرا و تفاعلا بيني و بينك. إذا كنت مستعدا، إذا كان الأمر كذلك، فلنبدأ في الحال !

يعلمنا شهر الصيام كما يعلم الجميع أن نتجرد من الشهوات لساعات طوال، أن نسمو بالروح، أن نخضع امتثالا لأوامر الخالق ذواتنا للتطهير، و أيضا، و هذه مسألة حيوية، ربما لا ننتبه لها، أن نحسن إدارة وقتنا بتنظيم ساعات الإمساك و الإفطار و

الصلوات و غيرها من الأنشطة. إن رمضان هو الطريق السريع للتدرب مدة شهر كامل على حسن إدارة الوقت و تنظيمه في كل دقيقة و ساعة و يوم من حياتنا ككل، فهل نحن مدركون لقيمة النعمة التي بين أيدينا : الصيام ! و بصفة عامة فإن إدارة الوقت من أهم القضايا المعاصرة نظرا لمجموعة من الاعتبارات. ففي زمن التكنولوجيا و الفضائيات و تقلص المسافات بين الأفراد في كل أطراف الأرض بفضل ثورة الاتصال، أصبح الوقت أكثر من أي "وقت" مضى ذلك المورد النادر الذي لا يمكن إهماله، وغير القابل للتجديد والاختزان والتجميع والاستخراج والاستبدال. والوقت من موارد الإدارة المهمة وتكمن أهميته في أنه يؤثر على الطريقة التي تستخدم فيها الموارد الأخرى. وهو رأس المال الحقيقي للإنسان كما أنه مقياس لنجاح المؤسسات.

كل هذا جيد، لكن دعني أسألك : و ماذا عن وقتك أنت ؟ هل يثير فضولك و يهمك أن تعرف أن مفهوم إدارة الوقت الحديث يعتمد على قاعدة ترتيب الأولويات واستغلال الوقت بذكاء، ما يعني العمل لأوقات أقل وتحقيق إنتاجية أكبر ؟ هل تعلم أن مشكلة الكثيرين أنهم لا يعرفون ماذا يريدون ؟ و إذا عرفوا لا يستطيعون تحديد الطريق الذي من خلاله ينجحون في تحديد أهداف متوالية و متسلسلة في الزمن ؟ إن تحديد الأهداف هي الخطوة الأساسية لنجاح أي عمل "مستمر في الزمن"، و ذلك مهما كان نوعه. أما عن الطريقة المثلى لتحديد الأهداف "المستمرة في الزمن" فيمكن تلخيصها في ثماني نقاط بموجبها يتعين أن تكون الأهداف المشار إليها :

١. محددة

٢. قابلة للقياس

٣. ممكن تحقيقها

٤. واقعية

٥. محددة زمنيا

٦. مكتوبة

٧. مفعلة

٨. مترجمة لما تريده أنت

موازاة مع ذلك، هناك أربعة أخطاء قاتلة في إدارة الوقت. ما هي ؟ ها هي ذي بين يديك حتى تتجنب الوقوع فيها:

١- افتتاح يومك دون خطة فعلية. إذا لم يكن لديك خطة فعلية قد وضعتها من بداية اليوم، فانتظر الأسوأ، فسوف تكون أفعالك كلها استجابات انفعالية لأحداث تقع في يومك، وسوف تستجيب دائماً للصوت الأعلى من حولك دون أن تتمكن من فعل الأشياء الصحيحة في الوقت المناسب.

٢- عدم التوازن في حياتك. إن حياتنا تتكون من سبع مناطق حيوية هي الحالة الصحية والحالة العائلية والأمور المالية والحالة الفكرية والحالة الاجتماعية والحالة المهنية وأخيراً الحالة الروحية. سوف يكون من الصعب علينا أن نخصص وقتاً لكل منطقة يومياً، ولكن على المدى البعيد علينا أن نخصص كميةً كافيةً ونوعية من الوقت لكل منها وذلك للحفاظ على التوازن و التناغم داخل كياننا الإنساني، وإذا صادف وتجاهلنا بعض هذه المناطق أو كلها، فسوف نحكم على نجاحاتنا بالدمار.

٣- العمل في مكتب أو مكان فوضوي. لقد أثبتت الدراسات العلمية أن الشخص الذي يعمل على طاولة غير مرتبة، يصرف في المعدل حوالي ساعة ونصف من وقته في محاولة العثور على الأشياء، وبالتالي يتشتت نشاطه وتركيزه في العمل، وهذا ليس كل شيء فالمسألة تتعدى ذلك إلى انسياب الوقت من بين يديك كما ينساب الماء، دقيقة وراء دقيقة وساعة خلف ساعة حتى ينتهي الدوام أو ينتهي العمر.

٤- قلة النوم. أثبتت الدراسات العلمية أن ٧٥% من الناس يشتكون بشكل منتظم من التعب والإرهاق والعمل المنهك، لأن معظمهم ينامون بشكل غير منتظم و غير كافي، إذ أن يومهم مليء بالتوتر حتى أنهم يفقدون السيطرة في العمل جراء قلة النوم لذلك فإن أخذ استراحة غذاء حتى ولو كانت قصيرة ولمدة ١٥ دقيقة، يمنحنا الفرصة لشحن بطاريتنا وتجديد الطاقة لدينا، فنعيد التعامل بكفاءة أكبر مع تحديات العمل.

الإرهاب و أسئلة العصر

كثر الكلام في تحديد الإرهاب واضطربت الآراء والمصطلحات في إيضاح مفهومه، وعلى الرغم من كثرة التعريفات والحدود التي وضعت لمعنى الإرهاب فلم نقف على حد جامع مانع له. فالإرهاب هو الأعمال التي من طبيعتها أن تثير لدى شخص ما الإحساس بالخوف من خطر ما بأي صورة ؛ و الإرهاب يكمن في تخويف الناس بمساعدة أعمال العنف؛ و الإرهاب هو الاستعمال العمدي والمنتظم لوسائل من طبيعتها إثارة الرعب بقصد تحقيق أهداف معينة؛ و الإرهاب كل عمل بربري شنيع ؛ و هو عمل يخالف الأخلاق الاجتماعية ويشكل اغتصابا لكرامة الإنسان .

و تعددت الاتجاهات والمدارس الفكرية التي تناولت دراسة أسباب ظاهرة الإرهاب ، ولكنها تتفق في القول بأن ظاهرة الإرهاب مركبة معقدة ولها أسباب كثيرة ومتداخلة ، بعضها واضح وطاف فوق السطح ، والبعض الآخر خفي غائص في الأعماق ، وبعضها عام على المستوى الدولي ، والبعض الآخر على المستوى المحلي في كل دولة ، بل وتتنوع الاستنتاجات بحسب اختصاص الباحثين ؛ إذ يركز البعض على بعض تلك الأسباب دون الآخر ، فأهل التوجه الاقتصادي يركزون على الأسباب الاقتصادية ، والاجتماعيون يركزون على الأسباب الاجتماعية ، و السياسيون والمختصون في الشؤون الأمنية ، يردونها إلى أسباب أمنية ، وهكذا... وهناك من يرفض إرجاع أسباب الإرهاب إلى الأسباب المادية الخارجية ، ويجعلها أسبابا نفسية فقط متعلقة بتكوين شخصية المجرم ، أي إنها استعداد نفسي عند من يقوم بالعمليات الإرهابية ، وأن الأسباب الأخرى ما هي إلا مثيرات لذلك الاستعداد النفسي ، ويستدلون على ذلك بأن هناك مجتمعات يعاني الفرد فيها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا.

الإرهاب إذا لم يأت اعتباطًا ولم ينشأ جزافًا بل له أسبابه ، فلا نستطيع الجزم بأن هناك سببًا واحدًا أدى إلى ظهور هذا الفكر ، ولكن تعددت الاتجاهات والمدارس الفكرية التي تناولت دراسة أسباب ظاهرة الإرهاب ، فهي أسباب كثيرة ومتداخلة تفاعلت على المدى البعيد ، فأنشأت في النهاية فكرًا متطرفًا.

ما الذي يدفع إذا شخصا ما إلى أن يصبح إرهابيا ؟ هل الإرهاب ظاهرة إسلامية كما يزعم البعض ؟ ما علاقة الإرهاب بالوعي و المستوى التعليمي و الاقتصادي ؟ يستند مقالنا حول (الإرهاب و أسئلة العصر) على نتائج استجواب سيبرانثربولوجي لعينة

من ٢٠ من الطلاب الشباب المنتمين لحقل الإعلام و الاتصال. الاستجواب تمت إدارته في مستهل يوليوز ٢٠١٥ على شبكة التواصل الاجتماعي فيسبوك نظرا لتفاعليتها الهامة؛ و ها هي ذي بين يديك، عزيزي القارئ، أهم نتائجه...

البحث عن الشهرة، سوء الفهم للدين، انعدام التوازن أو ضعف في الشخصية، عدم الرضا عن واقع معين، الفراغ الروحي، الجهل، الفقر، الكبت، الهروب من الواقع الذي يجده البعض أليما ، الحلم الموهوم بالحور العين، غزو القنوات الوهابية لملايين من البيوت في العالم العربي و الإسلامي، الدعاية التي تمارسها الجماعات الراديكالية لاستقطاب الشباب، عدم تنقيح الكثير من النصوص الشرعية، التفسير الخاطئ و القاصر لآيات القرآن، عدم فهم الناسخ و المنسوخ و عدم الإحاطة بأسباب التنزيل، الوقوف عند "ويل للمصلين" و عند "و اقتلوهم حيث ثقفتموهم"، و الحلم بجنان الفردوس بجز الرقاب، الانحراف في فهم الجهاد من معانيه السامية المرتبطة بتربية و ترويض النفس الأمارة بالسوء إلى معاني خطيرة يراد منها القتل و الترهيب و الترويع... تلكم كانت بعض الإجابات التي جاءت على لسان الشباب المستجوبين. ممتاز ! و لكن ماذا عنك أنت، عزيزي القارئ ؟ هل تعتقد مثلي أن الجماعة الإسلامية التي أصبحت حديث الساعة، و التي أتقزز من ذكر اسمها... هذا التنظيم قد أساء للإسلام أكثر من أمريكا، بل حتى أكثر من إسرائيل نفسها ؟ هل تتفق معي أن الشباب عندما يحس بأن الأبواب موصدة في وطنه، يسعى إلى إيجاد حل يكون إما ركوب قوارب الموت في اتجاه الصفة الأخرى أو الاتجاه نحو الفكر الجهادي المتطرف ؟ هل تتفق معي أيضا أن الشخص قبل أن يصبح إرهابيا يكون في حالة من الفراغ وغياب التأطير العائلي و الاجتماعي، تنضاف إليها ظروف اجتماعية مزرية قوامها الفقر والكبت والحرمان، فضلا عن غياب جانب الترفيه ؟ ألا تعتقد أن بعضا من الدول في العالم العربي و الإسلامي تنتج التطرف بقصد أو دونه من خلال سياستها التعليمية الفاشلة ومخططاتها الاجتماعية الهشة ؟ لا أدعوك بتاتا إلى الإجابة الفورية و القاطعة على كل هذه الأسئلة، و ربما سواها مما قد يتولد في ذهنك في حالات التأمل و التفكير العميق... إني أدعوك إلى أن تضم صوتك لصوتي لنهتف عاليا: لا للإرهاب ! لا لقتل الأبرياء باسم الدين ! لا لسفك الدماء باسم السلطة و السياسة و المناصب و الأموال ! لا و ألف لا، قلها معي أرجوك، و بأعلى صوت: لا للإرهاب !

الحديث معك، عزيزي القارئ، ممتع شيق و كثير الإفادة، و قبل أن أختم هذا المقال، على أمل اللقاء بك في فرصة أخرى، لدي فكرة أود أن أتقاسمها معك. لدي بالأحرى

رسالة من قلبي لقلبك، و نحن قد انتهينا جميعا من صيام الشهر الفضيل، و شحنا، أظن، بما فيه الكفاية بطارية الروحانيات لدينا... رسالتي تتلخص في ثلاث كلمات : الإسلام دين الحب. يستحيل أن يكون الدين الذي أوجد مساحات شاسعة للحوار بين أتباعه و بين غيرهم من أهل الكتاب و من سواهم...أقول، يستحيل أن يكون هذا الدين الخالد أبد الدهر حاملا لمعني الهدم و خراب الإنسان و الحضارة و العمران. الإسلام نور و محبة و سلام و ضياء و رحمة للعالمين. و أخيرا، لكل من يؤمن أن الإرهاب هو الحل، أقول : تأمل معي قوله تعالى في قرآنه الكريم : (و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)، و تدبر معي قول المسيح عليه السلام (أحب إلهك من كل قلبك ومن كل فكرك ، و أحب قريبك كنفسك) و تمعن في حديث رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:(إِنَّ اللَّهَ يقول يوم الْقِيَامَةِ أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يوم لا ظِلَّ إلا ظِلِّي).

تأمل معي إذا هذه النصوص جيدا و لنهتف مجددا، و بأعلى صوت: لا للإرهاب !

الصيام و الصحة و الصيف

الوقت يمر بسرعة، و تقلب الفصول و الأعوام مدهش، لكنك تحتفظ معي، ربما، يا صديقي القارئ، بذكريات جميلة و دافئة من رمضان، من شهر الصيام. هل كان الشهر الكريم فرصة ذهبية لك للتمتع بمستويات مرتفعة من الصحة و اللياقة البدنية و الطاقة ؟ هل همتك عالية لأداء التمارين الرياضية و الحفاظ على نمط غذائي صحي في أتون هذا الصيف اللاهب ؟ أن تشعربالروعة تجاه نفسك، و أن تعيش مرتاح البال، سليم البدن، رائق المزاج، قريبا من السعادة، بعيدا عن الألم... تلك هي الحياة الكاملة و الحقيقية.

نحن في القرن الحادي و العشرين؛ تقدم مذهل ذاك الذي نعيشه، في الطب و العلوم و الفنون و أساليب العيش و التكنولوجيا، و نحن محظوظون لأننا أبناء هذا القرن، و لم نعاصر الديناصورات الفتاكة و لا سكنا الأرض في العصر الجليدي أو زمن الطوفان ! إننا نملك في هذا القرن مفاتيح التحكم في صحتنا و لياقتنا و مستقبلنا. زمن المعجزات و الأنبياء فات، و هذا زمن العلم، العلم إذا نبوءة هذا العصر و ميسمه البارز. قل لي إذا ماذا فعلت لكي تحقق كل أهدافك المتعلقة بالصحة و الوزن المقبول و اللياقة البدنية ؟ ما هي استراتيجياتك ؟ إلى أي مدى كنت ناجحا في الالتزام بها ؟ هل كنت موفقا بالفعل ؟ هل اجتهدت بما فيه الكفاية ؟ هل تهاونت ؟ هل كنت مخلصا في تفعيل الاستراتيجيات ؟

لا هدف لي من وراء تصيد الأجوبة عن هذه الأسئلة.

إليك في الحال ٦ خطوات لتحقيق جميع أهدافك المرتبطة بالصحة و اللياقة :

- الخطوة ١. كن واثقا أن الصحة الجسدية الكاملة متاحة لك : لا يهم ما فعلته أو فشلت في فعله في الماضي، احنا ولاد اليوم. بغض النظر عن المدة التي كنت فيها بدينا أو غير لائق، فإنك في وقت ما في حياتك كان وزنك مثاليا و كانت درجة لياقتك ممتازة. إن ما فعلته في الماضي يمكنك بالتأكيد أن تكرره في المستقبل، شريطة أن تخلق الحافز. قد يكون الحافز عبارات من قبيل : (أريد أن أنحف حتى أنال إعجاب خطيبتي، أريد أن أفقد بعض الوزن حتى أجد ملابس أنيقة تناسبني، أريد أن أصل إلى وزن مقبول حتى أتجنب السكري و الضغط و تصلب الشرايين و القلب و ما جاورها من أمراض السمنة...)

- **الخطوة ٢.** اكتب وصفا واضحا و محددا لجسدك المثالي و برمجه داخل عقلك الباطن. كن على بينة بالوزن الذي تنوي أن تصبح عليه و عدد الدقائق و الساعات التي تنوي تخصيصها للتمارين. كن دقيقا أيضا فيما يتعلق بأسلوب التغذية المزمع اتباعه.

- **الخطوة ٣.** تجنب، (مدة أسبوع كامل في إطار تجريبي)، كليا الأطعمة المجهزة و المصنعة فهي مسؤولة بشكل كبير عن معدلات البدانة في هذه الأيام. ليس فقط لأنها تساهم في إضافة السعرات الحرارية الفارغة إلى نظامك الغذائي لكنها أيضاً تزيد من فرصك في تطوير مقاومة الأنسولين. قم بطهي جميع وجبات الطعام من مواد طبيعية و المس الاختلاف الذي تشعر به في نهاية الأسبوع.

- **الخطوة ٤.** اختر مواعيد محددة لتحقيق أهدافك الصحية و البدنية : ربما يحتاج التغيير منك شهورا عديدة أو أكثر. عند بدايتك الحمية الجديدة كن صبورا مع نفسك. قد تخطئ من وقت لآخر . مهما كانت درجة انضباطك سوف تسرف في الأكل أو الشرب أو تقلل من التمارين. لكن تذكر أنه يمكنك العودة سريعا لجادة الصواب متى شئت.

- **الخطوة ٥.** إلى جانب الأكل الجيد المتوازن و التمارين الرياضية المنتظمة فإن للنوم الكافي و المريح انعكاسا إيجابيا مباشرا على الصحة. فالنوم المريح ليس أسطورة، و هذا ما أكدته دراسة أجراها علماء سويديون، وجاء في نتائجها، التي نُشرت خلاصتها في (المجلة الطبية البريطانية): "أنه يُنظر إلى الأشخاص الذين يُحرمون من النوم على أنهم أقل جاذبية، وأن أوضاعهم الصحية أردأ، وأكثر إرهاقا مما يكونون عليه في وضع الراحة".

- **الخطوة ٦.** لا تستسلم. إذا كان هدفك هو أن تتمتع بأعلى مستويات الصحة و اللياقة البدنية المتاحة لك، فاتخذ إجراء اليوم ، بل في هذه اللحظة. افعل شيئا، افعل أي شيء. تناول السلطة على العشاء بدل طاجين اللحم بالبرقوق. اشرب المياه عندما تشعر بالعطش بدلا من المشروبات الغازية. تنزه في الحومة كل مساء بدل الجلوس في البيت لمشاهدة التلفاز. اجعل من العادات الصحية السليمة جزء من حياتك يستمر معك للأبد.

الانتخابات و المسؤولية الجماعية

قبل أيام قليلة، خابرني على الهاتف أحد طلبتي الصحفيين النجباء، و طلب مني أن أدلي بشهادتي كأستاذ باحث في موضوع الخطاب السياسي الذي واكب الحملة الانتخابية الحالية. راقني سؤال الطالب الذي أعتبره واحدا من أبنائي (و هنا أشير إلى البنوة الأكاديمية) و استرسلت معه في الحديث وقتا طويلا لعله قارب بقليل نصف الساعة، و كان حديثنا حماسيا بكل ما تحمله الكلمة من معاني، رغم أنه انعطف بنا بين الفينة و الأخرى في تفاصيل لا علاقة مباشرة لها بالسياسة، و إن كانت كلها تصب في بحرها الفياض المتلاطم الأمواج. و عندما انتهت المحادثة بيننا، اقتعدت كرسيا و انزويت في شرفة البيت، و أخذت رشفتين سريعتين من قهوتي الباردة، و سرحت ببصري بعيدا حيث الأفق. تنهدت من قلب كسير حزين، و أطلقت لأفكاري العنان...

تراقصت أمام ناظري مشاهد من الطفولة و المراهقة و السنوات الأولى من الشباب، و لعل أقوى هذه المشاهد كان بمعية أبي، أطال الله في عمره. تذكرت كيف أن أبي، الذي أوجه له من هذا المنبر أرقى تحية و أسمى معاني الحب...تذكرت أنه لطالما ربانا في البيت أخواتي البنات و أنا على حب الوطن و التفاني في خدمته انطلاقا من منصب سياسي، إداري، أو غيره. و هنا اعتصر الحزن قلبي من جديد و أنا استحضر المشهد السياسي الحالي بالمغرب، بفوضاه و عشوائيته و ضبابيته و عمقه الغارق في زيف الوعود و "قلة المعقول".

لطالما تمنيت أن يعم الخير وجه الأرض و أن يصير الشر و الخداع هما الاستثناء في عالم اليوم. واقعنا مر و كريه، و لا أزعم بتاتا أني أملك حلولا سحرية. إن ما أملكه، في إطار هذه الكلمات، أفكار و تأملات، لي عظيم الشرف أن أتقاسمها معك، عزيزي القارئ.

هل تعتقد أن السياسي بيده عصا سحرية يوظفها كيفما شاء لأجل إحداث التغيير ؟ هل يكفي معسول الكلام و الوعود و الخطب الرنانة و الشعارات الطنانة لتحقيق الأغراض و بلوغ الأهداف ؟ هل تحتاط كمواطن ذكي من الخطاب السياسي الذي واكب الحملة الانتخابية الحالية ؟ هل تصدق كل ما يقال ؟ هل تعلم أن أكبر حبات الجوز معظمها فارغ، بلا ثمر يؤكل أو فائدة تجنى ؟ و أنك بت تسمع في المشهد

السياسي الحالي بالمغرب جعجعة للرحى و لا ترى لها طحينا ؟ لا أريد أن أطيل عليك كثيرا بهذه الأسئلة و اللمحات و الإشارات، فوقتك ثمين، و لعلك، وقت كتابة هذه السطور، تؤدي واجبك الانتخابي المقدس... لكن، أرجوك، اسمعني جيدا : السياسة مسؤولية الجميع، و المواطن متى تخلق بأخلاق المواطنة الحقة دفع بالبلاد إلى الأمام. إني أعجب لمن يلقي باللائمة دائما على السياسيين و يحملهم ١٠٠% كل ما يحل بالمغرب من خير أو شر. إن مصير بلادنا مسؤولية الجميع، و الساسة فيهم الصالح و الطالح، مثلك تماما أيها المواطن، لذا فإن لا أحد له الحق أن يدعي الكمال و العصمة من الخطأ.

إننا وصلنا في المغرب إلى ما وصلنا إليه من فساد أخلاقي و دمار للقيم و استهتار بالعمل و المسؤولية و الالتزام، لأن ذلك ليس قضاء و قدرا، فالله لا يريد لعباده الظلم. إن ما نعيشه من تردي و تخلف في جميع المستويات خليق بأن يلقى على أكتاف الجميع. كلنا مسؤولون. عن النجاح، عن الفشل، عن تقدم مغربنا و رفعته بين الأمم، عن تخلفه و قلة شأنه، عن قوته و عن ضعفه، و هلم جرا... لكل شعب الحكومة التي يستحقها، فهل نحن نستحق الآن أو غدا أو بعد غد الحكومة التي تليق بأحلامنا و تطلعاتنا و هويتنا كمغاربة ؟ ماذا فعلنا من أجل أن نكون مواطنين صالحين ؟ إلى أي حد نحن واعون بمنظومة الحقوق و الواجبات ؟ أين نحن من قيم التضامن و الصدق و الاجتهاد و الإخاء ؟ أين نحن من النزاهة و تربية الأبناء على الأخلاق الحميدة ؟ إن أي خطاب سياسي كيفما كان حجمه أو شكله أو لكنته أو صاحبه لا يعدو أن يبقى خطابا سياسيا. إن الفائدة في الفعل، لأن الأقوال طائرة متبخرة و الأفعال وحدها تترك أثرا في المجتمع. هناك من سيدلي بصوته في الانتخابات و هناك من سيمتنع. هناك من يأمل في التغيير، و هناك من أنطفأ في قلبه بصيص الأمل. إن الانتخابات هي وسيلة للتصدي لثعابين الفساد و تماسيح الجهل و الظلام، فهل أحسنت الاختيار ؟

إن الأمل في إصلاح الأرض راود منذ بدء الخلق آدم و الأنبياء و الصالحين و العلماء و رجال الدين و كل إنسان حي الضمير. إن ضرب الظلم بيد من حديد و المساهمة في تقدم المغرب و علو شأنه سواء داخل المعترك السياسي أو خارجه... كل ذلك ممكن و ثابت. لكن ما هو أثبت أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

تأملات في مفهوم السعادة

الحياة صعبة. آهات المتألمين، رجاء اليائسين، انتظار الصابرين، دموع المحزونين، بعد طول عناء نشوة الظافرين. الحياة صعبة... تجارب و محن، مسرات و أحزان، لقاءات و صراعات، نجاحات و إخفاقات، نشدان لراحة البال، توق للحرية و الانطلاق، بحث عن الكمال ، هروب من أطياف الشكوك و الحيرة و العجز. من أين جئنا ؟ لماذا خلقنا ؟ أين نذهب ؟ أي نموذج معرفي تصلح به حياة المؤمنين التي نأمل أن نسلك بنجاح دروبها ؟ حياة مؤقتة، لكن ماذا ينتظرنا هناك، في دار القرار الأخير، من نعيم أو جحيم ؟ إننا جميعاً في خضم الحياة الدنيا، نتمسك بالأمل إلى الرمق الأخير و نتطلع إلى السعادة ونبحث عنها. لكن السعادة ليست هدفاً في ذاتها. إنها نتاج عملك لما تحب ، وتواصلك مع الآخرين بصدق.

إن السعادة تكمن في أن تكون ذاتك، أن تصنع قراراتك بنفسك، أن تعمل ما تريد لأنك تريده، أن تعيش حياتك مستمتعاً بكل لحظة فيها. كل دقيقة من وجودك ربما تكون آخر لحظة، فلم العبوس وقلة المرح و الإصرار على التعاسة ؟ اسعد لأنك حين صحوت من نومك وجدت أعضاءك كما تركتها بالأمس، اسعد لأنك قوي البدن معافاه، اسعد لأن قلبك ينبض بحب المولى و الخلق، اسعد لأنك لا تحتاج لعملية مستعجلة للتنفس فرئتاك سليمتان، اسعد لأن الله وهبك الحواس الخمس وأبعد عنك الإعاقة، اسعد لأن الخالق أوجدك إنسانا و لم يخلقك حجرا أو صخرة أو حصاة ضائعة في الفلاة.

السعادة قريبة منك إن أردت، إنها على مرمى شبر واحد. ليست السعادة في تكديس الأموال في الأبناك، و لا في الجري اللامحدود وراء الملذات، و لا في التقشف و الزهد المبالغ فيه، و لا في أن تكون متطرفا في الثراء أو غارقا في مستنقع الفقر؛ السعادة باختصار هي القناعة. أن تقنع بما في حوزتك و تسعى لتطوير ذاتك و تحب لغيرك ما تحب لنفسك و تتيقن أن لذة الحياة في العطاء... تلك هي السعادة. إنك تستحق السعادة لأن الله فضلك على سائر المخلوقات و شرفك بالعقل و أسجد لأبيك آدم ملائكته و نفخ فيه من روحه و علمه الأسماء كلها.

إنك تستحق السعادة، ولكنك أيضاً تستحق أن تحصل على ما تريد. تستحق الزوجة الصالحة و الأبناء الودودين و المسكن المريح و السيارة الفارهة و العمل المربح و الصحة الجيدة و العلاقات الاجتماعية الممتازة... لكن ماذا فعلت من أجل كل هذا ؟ هل

عملت بجد ؟ هل حافظت على التفاؤل و النظرة الايجابية إلى الحياة ؟ هل كنت محاطا بالأصدقاء المحبين و الناس الطيبين ؟ هل تأكد لديك أن توازن الإنسان يساوي تناغم الأجزاء الخمسة لكيانه : العقل و الجسد و القلب و النفس و الروح ؟ هل ابتعدت بما فيه الكفاية عن الغربان من البشر، عن المتشائمين و الانهزاميين و الدعاة إلى تجرع كأس الأحزان ؟ أرجوك، انظر إلى الأشياء التعيسة في حياتك، و سترى أنها عبارة عن سجل لعدد المرات التي فشلت فيها أن تكون ذاتك. إن تعاستك في الواقع لا تعدو أن تكون سوى ناقوسٍ يدق لك كي تتذكر أن هناك ما ينبغي أن تفعله كي تسترد سعادتك.

إن الوصول إلى السعادة ليس في تحقيق الكمال، أو الثراء الفاحش، أو الوقوع في الحب من النظرة الأولى، أو امتلاك قدر هائل من السلطة و النفوذ ، أو معرفة الناس الذين تعتقد بوجوب معرفتهم ، أو النجاح المهني على حساب ما سواه من النجاحات. إن تحقيق السعادة يكمن في أن تقبل ذاتك بكل خصائصها الحالية، و هذا يفترض أن تعرف أخطاءك دون أن تسمح لوجودها أن يصبح عذراً تلتمسه لعدم حبك لذاتك كما هي. ربما تكون شخصا يغلب على طبعه الضجر أو الخوف أو الغضب أو العاطفة أو الانفعال. لا يهم ! اقبل ذاتك كما هي، و اسع إلى تحسين طباعك بدل استئصالها كليا، فالطبع يغلب التطبع.

إني أحثك على أن تفكر في هذه التأملات بشكل جدي فهي نتاج لأقوال خالدة لعدد من الحكماء، و يشرفني أن أضعها بين يديك و أجعلها تتحدث إلى قلبك مباشرة و تمس شغافه و تنفذ إلى صميمه مثل الحقيقة الساطعة. و على أمل اللقاء بك مرة أخرى، تذكر جيدا أن تحقيق السعادة يكمن في أن تفهم ذاتك وتقبلها كما هي الآن، و أن تلك هي الحرية الحقيقية الوحيدة، و أن هذا هو الوقت المناسب لتحقيقها.

الكسل و العمل و الأمل

يُشكّل العمل قيمة أساسية ترتكز عليها عمليّة تطوير الإنسان لقواه وقابليّاته. فالمولى عزَّ وجلَّ خلق الإنسان وأودع فيه الاستعداد والقابليّة للتطوّر والكمال. وما يُمكن أنْ يُخرج هذه الاستعدادات من حيّز السبات إلى حيّز الفعليّة والوجود هو العمل والجهاد في هذه الحياة. وليكن معلوماً أنّ هذا الأمر يُعتبر سنّة إلهيّة لا تتبدّل ولا تتغيّر، وبالتالي تستطيع كلُّ البشريّة أنْ تستفيد وتنعم من بركات هذه السنّة وهذا القانون. ولذلك نجد أنّ المجتمعات الّتي عملت وجاهدت وبذلت كلَّ ما لديها في سبيل أمر ما استطاعت الوصول إلى ما رمت إليه، هذا مع كون بعض هذه المجتمعات لا تمتلك اعتقاداً صحيحاً وسليماً. وما ذلك إلّا لأجل هذا القانون الإلهيّ العامّ والشامل. نعم، إنّ المجتمع المؤمن والموحّد، يستطيع أنْ ينعم بخيرات هذا القانون فيما لو طبّقه، وأضاف إليه التسديد والتوفيق الإلهيّين. لأنّ الله وعد الّذين يعملون ويبذلون الجهد من المؤمنين أنْ يفتح لهم الآفاق، ويوصلهم إلى بركات وثمرات لم يكونوا ليتوقعوها.

نريد أن نساهم في النقاش الدائر حول ثقافة العمل في بلادنا. نريد أن نطرح مجموعة من التساؤلات و نفتح آفاقا للتفكير حول العمل و منظومة القيم المرتبطة به. لا ندعي أننا في حدود هذا المقال سنتناول الموضوع من جميع جوانبه لأن ذلك مستحيل و يتجاوز سعة هذا النص. هذه إشارات و لمحات و أضواء نلقيها على الموضوع الراهن دون أن ندعي الكمال و الإصابة السديدة ١٠٠% للأهداف. ما نكتبه و نضعه بين يديك، عزيزي القارئ، أفكار أولى تستحق التمعن و النقد و السجال. إنها مثل الطبقة الأولى من الدهان الذي يعلو جدران المنازل الحديثة البناء، و مساهمتك في إثراء هذه السطور طبقات أخرى تزيد بناءنا جمالا و نضارة و صلابة. نود أن نخاطب هنا جميع شرائح المجتمع مع التركيز على فئة ١٨-٥٠ سنة : الشباب، القلب النابض لهذا البلد.

منذ نعومة أظافرنا تلقينا، معظمنا و لا أبالغ، تنشئة اجتماعية قلما تزرع في النفس بذور العمل و الإنتاج. البطء في إنجاز الأعمال اليومية، الاستهتار بالوقت، التريث بل أحيانا التردد الشديد قبل اتخاذ القرارات الحاسمة، قلة الحماس في العمل بذريعة أنك إن اشتغلت أو لم تشتغل فالنتيجة هي هي...لا أحد منا ، بل أغلبنا حتى لا أكون ظالما أو متسرعا في إصدار الأحكام، يريد أن يعمل. نحب الكسل و السهر و الجلوس ساعات مديدة في المقاهي دون شغل شاغل أو هدف مستعجل يحرك فينا

الرغبة في العمل. و عندما يكون العمل لحساب شخص آخر يوجهك نحو أهداف لا علاقة لها بما يعتمل في أعماقك من أحلام فإن الحماس قلما يكون متوقدا مشتعلا.

لماذا تعمل ؟ من أجل مراكمة الأموال ؟ من أجل تسديد فواتير نهاية كل شهر ؟ من أجل تجنب الفقر ؟ من أجل البقاء ؟ من أجل إعالة أسرتك، أو والديك أو إخوتك الأيتام ؟ هل أنت في العمل الفلاني لأنك تحبه و تؤمن في أعماق روحك أن المال سرعان ما يفقد قدرته على تحفيزك و أن اقتفاء أثره دون ضوابط أخلاقية و أهداف نبيلة يقودك للجنون ؟

لا أطالبك بتاتا بالإجابة عن هذه الأسئلة، لكن، أرجوك، خذ ورقة و قلما و انزو في مكان هادئ، بعيدا عن الضوضاء و الصخب، تنفس بعمق و اطرح عنك كل الأفكار السلبية، أغمض عينيك، و تخيل شاشة عملاقة بيضاء. اكتب عليها على شكل عوارض و خواطر مقتضبة إجابات عن الأسئلة التالية : ما تصوري للعمل ؟ لماذا أعمل ؟ ما أثر العمل على صحتي البدنية و النفسية و علاقاتي الاجتماعية ؟ أنجز هذا التمرين، بسرعة، و دون تردد، ليس لأني طلبته منك، و لكن لأنه سيضع في خريطتك الذهنية الخاصة بالعمل نفسا جديدا و طاقة جبارة و فيضا من المعاني الايجابية. إن كنت موافقا فتحرك، إن قبلت عرضي فهلم إلى العمل !

إنك حين تعمل ما تحب فلن تشعر مطلقاً بالكسل. ارو الزهور في شرفة البيت، تطوع بساعة أو ساعتين من وقتك الثمين و ساعد أهلك في أشغال المنزل، لا تطلب دائما أجرا عن الساعات الإضافية في الشركة. اعمل و اجتهد و كن كائنا منتجا غير مستهلك. إن العظماء أفنوا حياتهم في العمل. لا تقل " أنا متعب، هذا عمل صعب ! "، فالمشكل ليس في صعوبة هذا العمل أو ذاك، المشكل الحقيقي في اختلاق الأعذار. الحق بالركب، فإذا خاطرت بأن تفعل ما هو مفروض عليك أن تفعله، فربما تكتشف الحقيقة المؤلمة و هي أنك لست جيداً بالدرجة التي طالما تمنيتها، ولكنك ستكتشف أيضاً أنك لست سيئاً بالدرجة التي كنت تخشاها. لقد بدأت حياتك منذ زمن طويل. فهل أنت على الطريق الصحيح ؟

العيد و العرفان و العطاء

الحياة أخذ و عطاء، و أجمل و أعمق معانيها في العطاء. تأمل معي بعضا من الأقوال المأثورة و الحكم الخالدة حول قيمة العطاء : "أعط و أنفق، و الله يرزق" / مثل إنجليزي ؛ "أعط و ستأخذ" / أفلاطون ؛ "إنما الأمير هو ذلك الذي يجد عرشهُ في قلوب الدراويش" / جبران خليل جبران ؛ "الرجل المثالي يشعر بالمتعة في إسداء المعروف للآخرين" / أرسطو ؛ "مثلما يعود النهر إلى البحر يعود عطاء الإنسان إليه / مثل صيني ؛ "أعط و لا تذكر ما أعطيت" غوته ؛ "ليصمت من أعطى و ليتكلم من أخذ" / سرفانتيس. هل تحس أن هذه الأقوال عن العطاء تخاطبك و أنها قد تركت أثرا و انطباعا حسنا في نفسك ؟ هل أنت الآن من الداخل مثلما كنت قبل قراءتك لهذه الأقوال ؟ هل العطاء محصور في نطاق الأقوال ؟ وما قيمة الأفعال في حياة المعطاء؟

العيد و العطاء، التضحية و البذل و التضامن و الإخاء... أن ترسم البسمة على وجوه الفقراء، أن تسعد المحتاجين، أن تفعل الخير و تنساه و لا تبتغي أجرا غير رضا رب العالمين... كل ذلك جميل، لكن، لماذا تحول عيد الأضحى في المغرب من شعيرة دينية خالصة غايتها التأسي بأبينا إبراهيم عليه السلام في امتثاله لأمر الخالق، في استعداده للفداء، إلى طقس استهلاكي محض ؟ لماذا هذا التنافس على شراء أكبر خروف ؟ لماذا هذا الإسراف في أكل اللحوم و تعريض الصحة لأخطار لا حصر لها ؟ لماذا نملأ الثلاجات و المجمدات بعدد هائل من المواد الغذائية كأن يوم القيامة على الأبواب ؟ لقد جرد العيد الكبير من معانيه الكبرى و أضحى عيدا للولائم و البذخ و التباهي، و الحال أن معنى هذا العيد، بل كل الأعياد هو أن أن تهب ما وُهبَ لك ، لأن لذة الحياة في العطاء.

أريدك أن تتأكد من مسألة في غاية الأهمية : إن التعليم لا يجعلك بالضرورة رجلا سعيداً. إن النجاح لا يصنع منك إنسان عطوفاً. إن الفقر لا يجعل منك حكيماً. إن الثراء لا يجعلك تشعر بنشوة الكمال. إن الخبرة لا تزيدك فطنة. لكن العطاء يعلمك كل شيء. أتعتقد أنك في مأمن حينما تقتصد إلى أقصى حد في الإنفاق ؟ هل تظن أن المال الذي يملأ جيبك هو مالك ؟ أليس المال مال الله ؟ ثق أنك تكون سعيداً فقط وأنت تتقاسم مع الناس الخبز و الحياة و الأمل في مستقبل أفضل. إن العطاء هو الذي

يحفزك على البقاء في صحبة الآخرين. إن الرغبة في تحسين جودة حياة الآخرين هي التي تجبرك على أن تشاركهم لأن القلب المعطاء المحب لا يمكنه تحمل العزلة.

العيد مشاركة و عطاء، و أنت أيها المغربي الأصيل عرف عنك منذ مئات السنين الجود و الكرم، فاجعل من العيد الكبير مناسبة لتقاسم القيم الكبرى مع العشيرة و كل أبناء هذا الشعب : التضامن و العطاء. تضامنك يمكن أن يترجم في عدة أفعال : دراهم معدودة أو كثيرة تعطيها لمن يحتاجها فعلا قبل يوم العيد؛ التأسي بسنة الحبيب المصطفى في أكل الثلث و ادخار الثلث و التصدق بالثلث من الأضحية؛ توعية المقربين منك أن المعنى العميق للعيد عطاء و عرفان بفضل المولى على العباد و تجنب لثقافة الاستهلاك من أجل الاستهلاك.

و الآن، أرجوك، خذ ورقة و قلما و انزو في مكان هادئ، بعيدا عن الضوضاء و الصخب، تنفس بعمق و اطرح عنك كل الأفكار السلبية، أغمض عينيك، و تخيل شاشة عملاقة بيضاء. اكتب عليها على شكل عوارض و خواطر مقتضبة إجابات عن الأسئلة التالية : ما تصوري للعيد الكبير ؟ هل هو أكل و شرب و استهلاك صرف أو أشياء أخرى ؟ ما أثر هذا العيد على أشياء مهمة بل أساسية في حياتي : العطاء، البذل، الأخوة، المشاركة، ورصيد القيم ؟ افتح عينيك و حاول أن تبحث عما تغير في أعماقك. هل وعيك صاف و أفضل ؟ هل هناك حقيقة جديدة تغمرك بأنوارها الساطعة ؟ أنجز هذا التمرين، بسرعة، و دون تردد، ليس لأني طلبته منك، و لكن لأنه سيضع في نظامك التمثيلي الخاص بالعيد نفسا جديدا و طاقة جبارة و فيضا من المعاني الايجابية.

عند نهايتك من قراءة هذا المقال أكون لك شاكرا لأنك خصصت له دقائق من وقتك الثمين، و أذكرك أن العيد عطاء و تضحية و بذل و تضامن و إخاء. و إلى أن نلتقي مرة أخرى، عيدك مبارك سعيد، و حفظك الله و رعاك و سدد خطاك.

العمل و القناعة و الأمل

الأمل و الألم، الحياة و الكفاح، التهور و التعلم و الندم، دروس لا تنتهي في مدرسة الحياة. العرق و الدموع و المشاق و الكد بالليل و النهار. النية الصافية، العمل من صميم القلب. و هل كان المجد يوما سهل المنال ؟ هل كانت الدنيا لا تؤخذ إلا غلابا ؟ وجهك يا أستاذي هشام ماثل أمام عيني بنضارته و طيبو بته و الحماس المنبعث من ثناياه و أنت تقول لنا بلكنتك التونسية المميزة : "ديما ثمة أمل". تقاسمت معنا يومذاك، من ربيع ٢٠٠٤ ، فصولا مؤثرة من حياتك. شرحت لنا نحن طلابك المشرئبين بأعناقنا إلى أحاديثك الدسمة و المفعمة بالإنسانية و الود كيف كان طريقك المهني مفروشا بالأشواك، و كيف أنك اجتهدت و صبرت و رابطت أزيد من ٢٠ سنة حتى تصنع لك مكانا في عالم الإخراج الوثائقي. المسيرة كانت طويلة، و كنت لنا بكلامك النابع من القلب القدوة و الأمل. فعلا كنت كذلك، فديما ثمة أمل !

هذه لمحة خاطفة عن العمل و الصبر و الأمل، و هذه قصة تصب في بحار من القصص عنوانها الاستماتة في سبيل النجاح... كل ذلك جيد، لكن ماذا عنك أنت ؟ ماذا أعددت لمعترك الحياة ؟ عرق و جهاد و إخلاص أم كسل و تواكل و شكاوى لا تنقطع ؟ قبل أيام قليلة، بدأت أفكر مليا في ثقافة الشكوى المنتشرة مثل السرطان القاتل في بلدنا. كل الناس يشكون و يبكون و لا أحد تقريبا يشعر بالسعادة. هل أصبحنا نعيش في مجتمع مريض بداء الشكوى ؟ لا أحد تقريبا، حتى لا أبالغ، يشاركك الفرح و الإنجازات السعيدة. لدينا ثقافة متفشية في المجتمع قوامها كتمان الأخبار السارة و النجاحات الشخصية مخافة العين الشريرة. نعم، لدينا هذه الثقافة ! تريد أن تجزي الكهربائي أجر ما عمل لديك في المنزل و تمنحه قدرا محترما من المال، لكنه يشكو لك قلة ما نقدته، و غلاء المعيشة، و العيد على الأبواب، و مصاريف الأبناء، و هلم جرا... تتبادل أطراف الحديث مع التجار على مدار العام فلا تسمع منهم غير الشكاوى و التذمر و عبارات التعاسة، "فالحركة ميتة، و البيع واقف، و الفلوس ناقصة، و الأزمة..." ، تسأل زملاءك في العمل عن الحال و الأحوال، فلا تتلقف أذناك غير الشكاوى، من ضعف الرواتب و تباعد أفراد الأسرة الواحدة بحكم اختلاف مكان العمل و أجواء التوتر داخل الشركة...

يا إلهي ! لا أحد سعيد قنوع بوضعه الحالي. وجوه تعلوها الكآبة، عبوس، تشاؤم، قلة صبر... مع العلم أن هناك الكثير من الناس في وضعية مهنية و أسرية يحسدون

عليها. لكن، لا أحد سعيد. تجهم و ضيق و كدر و ضنك و كبد. نريد أن نخاطب فيما يلي من السطور ذوي الحد المقبول من الرفاه المادي و الأسري، الذين رغم كل شيء يتمادون في الشكوى : لماذا كل هذا الضجيج ؟ هل انعدم الخير في حياتنا الدنيا ؟

أيها الشاكي و ما بك داء، أرجوك كف عن الشكوى و بدل التذمر تأمل النعم التي أسبغها المولى عليك، و من جملتها أن البشر كلهم يملكون ١٨ مليون خلية عقلية، و لكن هناك من سخرها في الخير و النماء و هناك من أهدرها في السلبية و رغبات الدمار. أيها الشاكي و ما بك داء، اتبع قلبك وليكن لديك الشجاعة كي تحلم ، لأن ما تحلم به يصبح حياتك. ولكن أي حلم ينبغي أن تحلم به ؟ إن أنسب إجابة لقلبك على هذا السؤال هي أن يكون الحلم الذي يخفق به فؤادك متناغما مع قيمك العليا و أن لا يجر عليك ويلات المنافسة غير الشريفة و تدمير الآخرين و عدم الكف عن نقدهم و الرغبة في نسفهم و الطمع في ممتلكاتهم، فالحلم حق مشروع ، و طريق مضمون إلى السعادة، لكن السعادة الحقيقية أن تقنع بما في حوزتك، و أن تكون ذاتك، دون قناع أو تخف وراء شخصية لا تليق بك.

لك حرية الاختيار في أن تقبل هذه الأفكار أو ترفضها تمام الرفض. أنت سيد الموقف، و على كل حال أشكرك لمجهودك في قراءة هذ النص. لكن، قبل أن أستودعك الله، على أمل اللقاء بك في موضوع آخر و في مناسبة قريبة، اسمح لي أن اقترح عليك التمرين التالي : خذ ورقة و قلما و انزو في مكان هادئ، بعيدا عن الضوضاء و الصخب، تنفس بعمق و اطرح عنك كل الأفكار السلبية، أغمض عينيك، و تخيل شاشة عملاقة بيضاء. اكتب عليها على شكل عوارض و خواطر مقتضبة إجابات عن الأسئلة التالية : هل أنا قنوع بما لدي ؟ هل أنا راض عن نفسي صحيا و عاطفيا و ماديا و روحانيا ؟ هل سعادتي في العمل و الألم من أجل النجاح و القناعة و الرضا بالقضاء و القدر دون الكف عن الحلم ؟ اسأل عن مكمن الخطأ لديك وسوف يخبرك الناس به. إن الخير يمكن أن يتلاشى سريعاً ويصبح محطماً على صخرة الشكوك وعدم الثقة بالذات .لذا ، اكتشف ما هو صواب و مقنع واعمل على ترسيخه لدى الآخرين. اقتف أثر ما تحب فذلك هو الاتجاه الصحيح دائماً. فعندما تكون نيتك خالصة، تجد الطريق أمامك مفتوحاً. أوجد ذلك الطريق.التزم به .كن على يقين و قناعة بذاتك. وعندما تفقد اتجاهك، انظر داخلك كي تجده مرة أخرى. افتح عينيك و حاول أن تبحث عما تغير في أعماقك. هل تغير شيء ما ؟ هل وعيك صاف و أفضل ؟ هل هناك حقيقة جديدة تغمرك بأنوارها الساطعة ؟ أنجز هذا التمرين، بسرعة، و دون تردد، ليس لأني طلبته منك، و لكن لأنه سينفث في نظامك التمثيلي الخاص بالقناعة روحا جديدة و طاقة هائلة و فيضا من المعاني الرائعة.

شكرا لك و دمت في حفظ الله و رعايته.

تأملات في فاجعة منى

الحياة و الممات، المتعة و الألم، البقاء و الفناء، الذهاب و الإياب، الرحيل و الزوال، الليل و النهار. الحب و اللقاء، التضحية و الفداء، الحج و الانكسار، التوبة و الاستغفار. غرباء في سجن الحياة، ، مساكين و فقراء إليك، ليس لنا من رب سواك، و الحج إليك إلهي هروب من المادية الطاحنة و تزكية للنفس و بحث عن المعنى و الكمال و الجلال و تجاوز لأغلال الأنا و انتصار على الذات و ذوبان في عشقك يا رحيم يا رحمان ! لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد و النعمة لك و الملك ، لا شريك لك !

أن تكون قريبا من الله، أن ترحل إليه و يرزقك نعمة النظر إلى وجهه الكريم. أن تموت في سبيله ؟ أن تعيش من أجل إعلاء كلمته في الأرض ؟ ماذا تختار ؟ أيهما أنفع و أفضل للإيمان ؟ مثل الملايين من المسلمين حول العالم تأثرت كثيرا بفاجعة منى التي راح ضحيتها مئات من الحجاج الميامين، لكني، و إلى حدود كتابة هذه السطور، أجدني منهمكا في تفكير عميق... و في الوقت ذاته أستغرب لسماع عبارات من قبيل : "سعدات اللي ماتوا في الحج / أفضل شيء أن تموت هناك، بعيدا، حيث الأرض المقدسة / تمنيت نكون مع هادوك اللي ماتوا / أحسن موتة هي موتة في الحج...". ما مبعث استغرابي إذا ؟ أريد أن أركز في هذا المقال على فكرة واحدة دون أن أزعم إطلاقا أني مصيب ١٠٠% في ما أقول، فما سوف أتقاسمه معك من تأملات، صديقي القارئ، جدير بأن يخضع للنقاش و النقد و السجال بل حتى الرفض إن شئت. إن التأملات التي أضعها بين يديك مثل الطبقة الأولى من الدهان الذي يعلو جدران المنازل الحديثة البناء، و مساهمتك في إثراء هذه السطور طبقات أخرى تزيد بناءنا جمالا و نضارة و صلابة.

" أن تحيا من أجل الله، و من أجل الإنسانية و الخير لا يقل أهمية عن أن تموت في سبيله تعالى " ؛ تلكم هي الفكرة التي نود أن ندافع عنها. و الحال أن عددا هائلا من مسلمي هذا العصر لا يتفقون مع تصور كهذا معتقدين أن الحياة لا تساوي شيئا و أن الحكمة و الكمال يكمنان في الموت... في الموت فحسب. صحيح أن واقع المسلمين مرير قاتم شديد السواد : قتلى و مشردون و لاجئون بالملايين في سوريا و العراق و فلسطين، حروب أهلية و توترات و قلاقل في دول إسلامية كثيرة شرقا و غربا، وضع اقتصادي و اجتماعي شديد السوء في دول كثيرة من العالم الإسلامي، ناهيك

عن التخلف الذي أصبح كاللازمة بل مضرب الأمثال في كل مكان. لكن ما هو صحيح أيضا أن الحياة ليست حقيرة كما يتصورها البعض و تستحق أن تعاش لأنها، و بكل بساطة، هبة من الله. أما أن يتم تمجيد الموت و بث كراهية الحياة في مناسبات كثيرة بذريعة أن ذلك من صميم الإسلام، فهو يسيء للدين أكثر مما يخدمه. لماذا ؟ الإجابة يمكن تلخيصها في النقاط الثلاث التالية:

١. "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف" كما جاء في الحديث الشريف، و القوة هنا تستدعي الحياة و العمل و المسؤولية و الابتكار و الريادة بين الأمم. نؤمن بأن الحياة فانية و بأن الآخرة خير و أبقى، لكننا نؤمن أيضا بقول الله تعالى : " و لا تنس نصيبك من الدنيا و أحسن كما أحسن الله إليك".

٢. إن حياة المسلم، بل البشر جميعا، بصرف النظر عن دينهم و ثقافتهم و انتمائهم، مقدسة، لذا فإن الاستهتار بموت المئات في فاجعة منى، أو اعتبار ذلك أفضل طريقة للموت يمكن أن ينالها شخص ما... كل ذلك نحترمه لكننا لا نتفق معه. لماذا ؟ لأن حياة الإنسان غالية، رغم كل شيء، و "من أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا".

٣. إن هناك مئات من الأسر حزينة على حجاجها الذين التحقوا بالرفيق الأعلى، في فاجعة منى، و هذا أمر طبيعي جدا. فأي سعادة في مصير مأساوي كهذا ؟ أتخيل أنه من الحجاج الذين قضوا في منى... منهم من ترك أطفالا أيتاما و نساء أرامل و ديونا دون سداد و مشاريع غير مكتملة. كل هذا مؤسف. أتفق معك، صديقي القارئ، أن المكتوب ما منه هروب و أن الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شره، حلوه و مره، من أركان الإيمان. لكن، لا تنس أنه حتى النبي صلى الله عليه و سلم، حزن لموت ابنه إبراهيم. فلا تقل لي يا له من مصير سعيد ما حل بالحجاج في منى...

الحياة و الممات، البقاء و الفناء، الذهاب و الإياب، الرحيل و الزوال، الليل و النهار. الحب و اللقاء، التضحية و الفداء، الحج و الانكسار، التوبة و الاستغفار... الحج إليك إلهي هروب من المادية الطاحنة و تزكية للنفس و بحث عن المعنى و الكمال و الجلال و تجاوز لأغلال الأنا و انتصار على الذات و ذوبان في عشقك يا رحيم يا رحمان ! لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لك لبيك ! إن الحمد و النعمة لك و الملك ، لا شريك لك ! أن تكون قريبا من الله، أن ترحل إليه و يرزقك نعمة النظر إلى وجهه الكريم. أن تموت في سبيله ؟ أن تعيش من أجل إعلاء كلمته في الأرض ؟ ماذا تختار ؟ وحدك تملك الإجابة عن هذا السؤال !

المال و الرزق و البركة

أتيح لي في الأسابيع الأخيرة أن ألتقي بأحد السماسرة لكراء منزل أستقر فيه وألم بفضله شتات الأسرة، بعد أزيد من ٣ سنوات من السفر المتواصل و الترحال و الذهاب و الإياب بين مدن مختلفة في المغرب، لأجل العمل و استرزاق خالق الخلق. كان هذا السمسار، و يا لغرابة الصدف، مختلفا عن كل السماسرة الذين قابلتهم في حياتي. دعوني أذكر اسمه فلا حرج في ذلك، لا بالنسبة له، و لا بالنسبة لي : با إدريس.

السماسرة الذين عرفتهم منذ عام ٢٠٠٠ ،تاريخ خروجي من المغرب مهاجرا في سبيل الدراسة، و بعد ذاك للعمل و التدريس في فرنسا، لهم مجموعة من الخصائص المشتركة : وقاحة شديدة و حنث بالأيمان و بيع للأوهام، و كذب و احتيال، و إتقان للف و الدوران، و تزييف للحقائق، و كذب في الوعود، و القائمة طويلة... با إدريس كان فعلا مختلفا عن هؤلاء.

كان يبدو بقسمات وجهه الأمازيغي النبيل، و عينيه المشرقتين بالسرور، و تواضعه الشديد، و أدبه الجم، و صدقه في الوصف و الحديث، و انضباطه في المواعيد... كان يبدو بكل هذا مثالا نادرا للإنسان المحترم. كان با إدريس واحة من الأمان في صحراء قاحلة. و لا أدعي بتاتا أني وجدت مسكني الحالي بتدخل مباشر منه، لكن ما أنا متأكد منه هو أن اللقاء به، و البحث الدؤوب عن سكن ملائم، بالليل و النهار، لمدة ١٧ يوما كاملة، كل ذلك جعلني أقابل سماسرة آخرين و أشخاصا لا علاقة لهم بالسمسرة و إن كانت في أيديهم مفاتيح العديد من شقق الكراء التي زرتها. كانت لقاءاتي بكل هؤلاء دروسا مهداة من الحياة، و كانت هذه الشبكة المعقدة من الأشخاص و المنازل و الكر و الفر و الوعود الباطلة و خيبات الأمل، و الانتظار المر المؤلم و الأمل المشرق أخيرا... كان كل هذا ضروريا لأجد نفسي في البيت الذي أنا فيه الآن، و الذي أكتب بين جدرانه هذه السطور.

و كان لقائي كل مرة ببا إدريس أمام مدخل مسجد البركة، لفحص ما بين يديه من شقق... كان ذلك طالع يمن و بشارة خير. البركة ؟ لننس المنازل و الكراء و السكن و لنلق نظرات مليئة بالسكينة و التأمل على أجزاء من أحاديثنا، با إدريس و أنا :

-شوف آ سي المهدي، أنت تبحث لك عن منزل تستقر فيه، و تأكد أنك ستجده بفضل الله وحده. اتصل بسماسرة آخرين أو أفراد من العائلة، توازيا مع المنازل التي بين يدي، و الخير في ما اختاره الله. الناس وسائط، و ما أراده الله لك هو ما سيكون.

- يكون خير، الله يرحم الوالدين...

- والدينا و والديك.

و في لقاء ثان، دار بيننا الحوار التالي :

- شوف آ الأستاذ، راك بنت لي اليوم مقلق و ماشي هو هذاك. غير صبر، و مولانا ما عندو غير الخير.

- لا بد لي أن أضجر بعد أزيد من أسبوع كامل من البحث دون فائدة... إن الوضع صعب...

- اسبوع كامل ؟ ها ها ها... أعرف امرأة، جارة لي، كانت تبحث عن منزل للكراء لمدة ٤٥ يوما. هل تسمعني ؟ ٤٥ يوما من البحث الشاق... و في نهاية المطاف وجدت. يمكنك يا أخي أن تجد بيتا في أقل من ٢٤ ساعة، بل في ساعة واحدة إن رغبت في ذلك، لكن المهم هو المسكن المناسب، المسكن الذي يرتاح له قلبك من النظرة الأولى. هنا بيت القصيد...

- واييه آ با إدريس... هداك هو المشكل.

و في لقاء ثالث :

- هل رأيت بحثك عن منزل للسكن آ السي المهدي ؟ إنه يشبه العلاقة بين المال و الرزق و البركة...

- ها أنت بدأت تتفلسف ! (مازحا)... أما بخصوص البركة التي تشير إليها (مسترسلا في المزاح) فهل لأن لقاءاتنا كلها تتم أمام مسجد البركة ؟

- أنت تضحكني آ با المهدي. و جميل أنك اليوم قليل التوتر مع ميل إلى الفكاهة و المزاح...

- واييه ، المزاح و المشماش و حب الملوك حتى هو...

- دمك خفيف آ السي المهدي ها ها ها... (و راسما على وجهه علامات الجدية) تريد أن تعرف العلاقة بين المال و الرزق و البركة ؟ ليكن ذلك ! لكن، اسمعني جيدا : عندما تبحث لك عن سكن، فلا تسأل الله السكن في حد ذاته، و لكن اسأله السكينة. إن السكن المريح نعمة النعم فاسأل الله أن يرشدك إليه، و أن تجد معه البركة. فلا قيمة له إن لم يكن مباركا و طالع خير عليك. هناك أناس كثيرون يعتقدون أن المال وحده كاف كي تعيش مرفها مرتاح البال، و هذا غير صحيح إطلاقا: لماذا ؟ لأن المال دون بركة لا يساوي شيئا. ألا تسمع الدعاء الشعبي (الله يغلب البركة على الرزق) ؟ أحب كثير هذا القول/الدعاء، بل أعتبره من الحكم الخالدة، و حتى لا أطيل عليك، لا تنس مسألة في غاية الأهمية : عندما تجد البيت الذي تغلب بركته على الأموال التي أنفقتها في سبيل استئجاره، فاعلم أنه رزق كريم من عند الله. واييه آ سي المهدي !

و مرت الأيام...وجدتني أكتب هذا النص القصير وفاء لدروس با إدريس، و لحضوره الجميل و السريع و المؤثر رغم كل شيء في حياتي، و وجدتني أهدي هذه السطور لرجل علمني بكلامه البسيط و العميق في الوقت نفسه، ما العلاقة بين المال و الرزق و البركة !

الحياة و السعادة و المجازفة

إننا جميعاً نتطلع إلى السعادة و نبحث عن أسبابها و الطرق المؤدية إليها. كتبنا في مقالنا السابق "تأملات في مفهوم السعادة" المنشور بعمود كتاب و آراء في هسبريس يوم ٩ شتنبر ٢٠١٥ ما يلي : " إننا جميعاً في خضم الحياة الدنيا، نتمسك بالأمل إلى الرمق الأخير و نتطلع إلى السعادة ونبحث عنها. لكن السعادة ليست هدفاً في ذاتها. إنها نتاج عملك لما تحب ، وتواصلك مع الآخرين بصدق. إن السعادة تكمن في أن تكون ذاتك، أن تصنع قراراتك بنفسك، أن تعمل ما تريد لأنك تريده، أن تعيش حياتك مستمتعاً بكل لحظة فيها. كل دقيقة من وجودك ربما تكون آخر لحظة، فلم العبوس وقلة المرح و الإصرار على التعاسة ؟ "

نريد في هذا المقال الجديد أن نواصل التفكير في سبب آخر من أسباب السعادة و ملمح من ملامحها البارزة. إنه المجازفة؛ بعبارة أخرى تحدي المجهول، الارتماء في أحضان المغامرة و تقبل فكرة مفادها أن تغامر لكي تعيش و أن تخسر أحيانا لكي تربح من جديد و تتذوق حلاوة الأشياء غير المرتقبة في الحياة.

الحياة ؟ ما هي الحياة ؟

منذ فجر التاريخ، تساءل الفلاسفة و الحكماء: ما سر الحياة ؟ ما معناها العميق ؟ من أين جئنا ؟ ماذا نفعل هنا ؟ أين نذهب ؟ الإجابة عن هذا السؤال أبسط مما تتخيل : إن سر الحياة أنه ليس لها أسرار ! إن الحياة الحقيقية كلها عمل شاق...الحلم و العمل، الانجاز و السعي إلى الأفضل، السير إلى الأمام، كراهة الجمود و فك القيود، أن تسلك طريق الانتصار، أن تبذر و تبذل الحب الذي يداوي كل جرح، أن تصنع من حياتك تحفة فنية، و أن تطمح للمزيد و تقاوم الألم. تلك هي الحياة الحقيقية !

هل تحب المغامرة ؟ هل تجري في عروقك دماء المجازفة ؟ إن المجازفة ليست ترفا فكريا و لا مضيعة وقت و لا عمل من لا عمل له. إنها ليست بالخطوة الثانوية في مسيرة الحياة، إنها من أهدافها الكبرى. إن الهدف من الحياة هو أن تكتشف مواهبك التي مُنِحت لك . إن معنى الحياة هو أن تهب ما وُهبَ لك. إن وظيفة الحياة هي أن تعمل على تنميتها وتطويرها، و أن لا تكون موظفا فيها، مستهلكا، مفعولا به، غير فاعل. إن وظيفتها أن تكون مبادرا مقداما مجازفا مستعدا لخوض المجهول، قابلا لأن تخسر بين الفينة و الأخرى، غير ممتلك للأشياء، لأنك حين تمتلك الأشياء فإنها

تمتلكك، سواء تعلق الأمر بالمال أو المنزل أو السيارة أو الأراضي أو الأسهم أو الشركات أو العقارات... فكلها و غيرها هبة من الحياة و ملك لله.

تخيل معي أنك تبحث عن عمل و أن أحد المهنيين يسألك عن استعدادك لخوض مغامرة حقيقية بقبولك لمهمة تجبرك على العمل الشاق و السفر بالليل و النهار و استباق الزمن لتعلم مهارات و تقنيات جديدة، و أنك قبلت كل هذا، و استيقنت في قرارة نفسك و في أعماق روحك أن المجازفة هي التي تخلق القيمة المضافة في حياتك، ليس المهنية فقط، بل على كل المستويات. لقد قبلت و عملت بجد و اجتهاد و نلت مبتغاك فالله لا يضيع أجر من أحسن عملا... تخيل معي أنك جازفت و سافرت إلى مكان مجهول و قطعت مئات أو آلاف الكيلومترات و بحثت لك هناك عن لقمة العيش و اجتهدت و صبرت و رابطت و انتظرت الفرج، و أنه جاء من صاحب الفرج. تخيل معي ذلك ؟ ما إحساسك ؟ هل ذلك ممكن التحقق ؟ أكيد ممكن، لأن الحياة عمل و أمل و توكل على الله و شروق للشمس و غروب و بزوغ للنجوم !

جازف و انجح و اسقط و تألم و تعلم من الحياة. لا يهم. إن السقوط لا يعني الفشل، كما قال سقراط، لكن الفشل أن تظل في المكان الذي سقطت فيه. إن من يقنع بالقليل و يبخس من قدراته يظل جامدا في مكانه و لا يستطيع البتة أن يلحق بقطار الحياة. إن الخوف من المجازفة معناه أن تترك للناجحين الفرصة لينجحوا أكثر دون أن تكون واحدا منهم، ...معناه أن تحكم على نفسك بالروتين و أحيانا بالفشل. ماذا ينقصك يا صديقي حتى تبلغ مصاف المجد ؟ إن الله وهبك عقلا تفكر به و لسانا تعبر به عن مكنوناتك و شفتين تلهجان بحمده و هداك النجدين. لذا ،خاطر طوال الوقت ! فأنت تخاطر كي تنمو، وتنمو كي تظل شاباً، كي يكون لديك أمل، كي تكون مؤمناً بالعالم كما تصنعه بنفسك.

تأملات في قيمة الحب

لماذا خلقنا الله ؟ ماذا نفعل هنا ؟ من أين جئنا ؟ أين نذهب ؟

العيون الفياضة بالدموع، الحب و الشوق و الأنس و الرضا. الغاية القصوى من المقامات، الذروة العليا من الدرجات. البر و التقوى، الجهر و النجوى، العمل و الإصابة و الخطأ و الاستغفار، التعلم من النسيان و الضعف الإنساني، الأمل في رحمتك الواسعة، و الطمع في حلمك و جودك اللامحدود يا حنان يا منان. الحياة محطة عبور إليك إلهي، و فناء، و سفر دائم، و جري لا متناه عن المعنى، و ذوبان في عشقك، يا قريبا غير بعيد، يا مؤنس كل وحيد، يا منقذ كل غريق، يا سامع كل شكوى، يا متصفا بالكمال و الجلال و الجمال، يا خالق الأكوان، و مكور الليل على النهار، يا رحمان يا رحيم، أرني أنظر إليك، ارزقني لذة النظر إلى وجهك الكريم...

هذه تأملات في قيمة الحب؛ حب الله لخلقه أولا و قبل كل شيء، و حب المخلوق للخالق. و نحن لا نستطيع أن ندعي أننا من القلائل الذين كتبوا عن الحب، بل أن هناك، منذ فجر التاريخ، عدد هائل من المفكرين و الفلاسفة و رجال العلم و الدين الذين تطرقوا لهذا الموضوع الشيق بما شاؤوا من إسهاب أو اقتضاب، كل حسب مقاصده و أهدافه. و لقد ارتبط مفهوم الحب الإلهي مثلا في تاريخ الفكر العربي الإسلامي بالصوفيّة ، والواقع أن مفهوم الحب الإلهي لم يكن إبداعاً صوفيّاً من حيث المبدأ ، فقد ورد مفهوم الحب الإلهي في القرآن الكريم ، حيث خاطب الله عباده المخلصين بقوله أنه (يحبهم ويحبّونه) النساء ٥٤ / وقد وردت العديد من الآيات في القرآن الكريم تؤكّد حب الله للمؤمنين بحيث يشمل هذا الحب جميع مجالات الحياة التي يحياها المؤمن ، حيث قال تعالى (والله يحبّ الصابرين) آل عمران ١٤٦/ ، وقال (والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤/ وقال (فإن الله يحب المتقين) آل عمران ٧٦

هذا غيض من فيض مما ورد في القرآن الكريم والذي يبيّن أن الله تعالى هو الّذي بدأ بمخاطبة المسلمين ليبيّن لهم طبيعة العلاقة التي يجب أن تكون بين الله وعباده ، وهي علاقة تقوم على مبدأ الحب الّذي يمنحه الله لعباده ، إذا كانوا من الصّابرين ومن المحسنين ومن المتقين .كانت بداية الحب إلهية ، من الله تعالى للإنسان ، ولكن هل يمكن أن تكون هذه العلاقة متبادلة ، أي أن يحب الإنسان الله كما يحب الله الإنسان ؟

الحب أعظم عامل في الحياة وأكبر قوة في قلب الإنسان تسوقه إلى أعمال رفيعة، وتقوده إلى حيث لم يكن راغبًا، فهو ملك يتصدر عرش العواطف والأحاسيس، وينطلق من حالات خاصة في الروح يبذل في سبيلها كل غالٍ ورخيص. الحب لا يحدُّ بحد أوضح منه، والتعاريف والحدود لا تزيده إلا خفاءً، فتعريفه وُجوده. و الحب حالة ذوقية تفيض على قلوب المحبين وكل ما قيل فيه ما هو إلا بيان لآثاره، وتعبير عن ثماره، وتوضيح لأسبابه. قال ابن الدباغ : (إن المحبة لا يعبِّر عنها حقيقة إلا مَنْ ذاقها، ومن ذاقها استولى عليه من الذهول على ما هو فيه أمر لا يمكنه معه العبارة، كمثل من هو طافح سكراً، إذا سئل عن حقيقة السكر الذي هو فيه، لم يمكنه العبارة في تلك الحال؛ لاستيلائه على عقله).

كل هذا مفهوم، لكن، ماذا عنك أنت ؟ هل تحب الله ؟ هل تحب الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ؟ هل تحب الله تجديدا لكتلة المشاعر والأحاسيس بداخلك، بعد أن ذبلت وضاعت في مادية الحياة الطاحنة ؟ ما حضور المولى في حياتك ؟ هل تعبده لأنك تريد جنته و تريد أن تنجو بجلدك من ناره ؟ هل تعبده و تحبه تأسيا بالنبي محمد، صلى الله عليه و سلم، الذي حين آذاه قومه يوم أحد لم يملك إلا أن يقول : "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ؟ هل تعبده لأنك مؤمن بالوراثة أم لأن حبه ساكن في قلبك ؟ هل تعبده لأنك تريد جنته و تريد أن تنجو بجلدك من ناره ؟ هل تعبده لأنك مؤمن بالوراثة أم لأن حبه ساكن في قلبك ؟ هل أكثرت من الصلاة و النوافل هذا الأسبوع لأنك تريد أن تنجح في امتحان نهاية الفصل الدراسي ؟ هل حب الله في نظرك واجب، تقليد، أم حرية اختيار ؟ كثيرون من لا يملكون إجابة مباشرة حاضرة في الذهن عن سؤال من قبيل : "هل تحب الله"، لكنهم يعتقدون في أعماق أرواحهم أن حبه تعالى هو أعظم لذة في الكون، بل هو اللذة القصوى، و معين المعاني الذي لا ينضب، و سر الحياة. هل أنت واحد من هؤلاء ؟ ما هي ملامح تجربتك في حب الخالد الذي لا يموت ؟

الحب سر من أسرار الحياة الكبرى، بل هو سر الوجود. العيون الملأى بالدموع، الشوق و الأنس و الرضا. الغاية القصوى من المقامات، الذروة العليا من الدرجات. البر و التقوى، الجهر و النجوى، العمل و الإصابة و الخطأ و الاستغفار، التعلم من النسيان و الضعف الإنساني، الأمل في رحمتك الواسعة، و الطمع في حلمك و جودك اللامحدود يا حنان يا منان. الحياة محطة عبور إليك إلهي، و فناء، و سفر دائم، و جري مستمر وراء المعنى، و ذوبان في عشقك، يا قريبا غير بعيد، يا مؤنس كل

وحيد، يا منقذ كل غريق، يا سامع كل شكوى، يا متصفا بالكمال و الجلال و الجمال، يا خالق الأكوان، و مكور الليل على النهار، يا رحمان يا رحيم، أرني أنظر إليك.

العمل و الاستثمار و المستقبل

لكل حكاية راو، و لكل راو حكايات مليئة بالمعاني و الشخوص و متشابكة الأحداث يقصها على الناس لأهداف شتى : التسلية، العبرة، تزجية الوقت...

يقول الراوي : (منذ أيام قليلة، استوقفتني جملة لأحد مشاهير التنمية البشرية، و هو الأمريكي جيم رون : "اعمل أكثر من الأجر الذي تتقاضاه حتى تستثمر في المستقبل". يا إلهي ! كم هي صادقة هذه الجملة و عجيب أنها تعكس محطة مهمة في حياتي؛ فقبل ٩ سنوات، سافرت لفرنسا للعمل دون منحة دراسية، و كان مخططي أن أعمل و أدرس في الوقت نفسه كغيري من طلاب الدراسات العليا في هذا البلد الذي يحترم العلم و العمل و الاجتهاد. كانت سنة الماستر و ما تلاها من سنوات الدكتوراه أوقات كد و عمل لا ينقطع. توزيع للجرائد في الصباح الباكر و عمل في المطعم الجامعي في منتصف النهار، و انهماك في الدراسة بعد الظهر إلى حدود الساعات الأولى من الليل. كانت مغامرة بكل المقاييس، و لكن كان لها في ذاكرتي طعم أحلى من العسل. و لم يكن العمل وحده الذي علمني الصبر و تحمل المسؤولية، بل هناك عامل أقوى لا يقل أهمية : اللقاء المستمر بالأشخاص الناجحين الذين ألهمني التعامل و التواصل معهم و شحن بطارية القيم لدي بالمزيد من الأمل و الإخلاص و الإقبال على الحياة.

أرمون فلوريا كان واحدا من هؤلاء الناجحين. ما زلت أذكر قسمات وجهه المتعب و نظرة عينيه المشربة بالحنان و التفاؤل و ابتسامته العذبة وهو يقول : " منذ أول لقاء لنا أحسست أنك إنسان جاد، لذلك أود أن تساعدني في إدارة بعض أعمالي الفنية بما تجود به مخيلتك من أفكار و رؤى و استراتيجيات. ليس المهم ما تربحه من مال جراء ذلك، لأني أقترح عليك أن تعمل لصالحي متدربا بالمجان، و ثق أن ما ستجنيه هو الكثير من التجربة المهنية و استثمار مباشر في المستقبل. هل ترى هذا الكتاب الذي بين يدي ؟ (و أشار إلى مجلد من ١٠٠٠ صفحة)، إنه ثمرة ٣ سنوات من الكتابة و العمل و الخيال و سهر الليالي و المجهود الشاق. إنه عمل مسرحي وافقت بلدية بوردو على دعمه ماديا و سوف يبرمج في الأسابيع القليلة المقبلة في المسرح الكبير. لقد كان تأليف هذا العمل صعبا جدا، و في أوقات كثيرة لم أكن أجد ما أسدد به الفواتير، و لكن كان لدي إيمان راسخ أني حين أعمل من صميم القلب ، و أحيانا أكثر من طاقتي فإني أستثمر في المستقبل.

خليل، صديقي من الجزائر، كان أيضا من الناجحين الذين تعلمت منهم دروسا في الحياة. كان خليل طالبا في شعبة البيولوجيا، و كان لكثرة انشغاله بالدراسة لا يجد من الأيام إلا نهاية الأسبوع للعمل من أجل توفير مصاريف المأكل و المسكن. و رغم مرور أزيد من ٤ سنوات على آخر لقاء جمعنا إلا أني أذكر جيدا ما دار بيننا من حوار، ذات يوم خريفي:

- كيف الأحوال مع العمل الجديد ؟
- عمل شاق لكني مجبر يا عزيزي. إني اشتغل ٢٠ ساعة نهاية كل أسبوع، كل سبت و أحد، و أحيانا أكثر. تصور أني أعمل دون عقد عمل و أن مشغلي يمنحني نصف أو ثلث ما استحق. تصور ! و مع ذلك، لا يهم، لأني لا أجد عملا غير هذا، و لأن كل شيء يهون، فالحاضر مليء بالمشاق، و المستقبل إن شاء الله أفضل.
- و أنت ؟ و جرائد الصباح ؟ و مطعم الجامعة ؟
- لم يتغير شيء، لكني أنا الذي تغيرت. لقد أصبحت مبرمجا على الاستيقاظ مبكرا، كل صباح، على الساعة الخامسة. و صار هناك أيضا في داخلي مقدار كبير من الجلد و العزيمة و التعاطف مع الناس.
- أنا أيضا أتعاطف مع مشغلي الكريم جدا معي !
- كفاك مزاحا، ها ها ها...

كان هناك أرمون، و خليل، و هناك أيضا سباستيان. سباستيان ! هل تسمعني ؟ نعم، إني أسمعك أيها الراوي، لكن لماذا تسرد بالعربية ؟ أنا لا أفهم هذه اللغة الجميلة و الساحرة، لغة القرآن كما تقولون، هل نسيت أني إسباني ؟ صحيح أنه تجري في عروقي بعض من دمائكم العربية بحكم أصولي الأندلسية و ارثنا الحضاري المشترك، لكني لا أفهم العربية... سباستيان، يا عزيزي، و أنا لا أتكلم إلا قليلا من الاسبانية، و لكن هل نسيت أنه منذ ٢٠١١ إلى حدود اليوم و نحن نتخاطب بالفرنسية ؟ لا يهم يا صديقي، خاطب قراءك بأي لغة تشاء، فسوف تترجم لي لاحقا. موافق يا سباستيان ! لكن، هل تذكر اعترافاتك في آخر لقاء لنا، هنا في كازا، مدينة العمل و الجد و الرطوبة و الربو و الاختناق ؟
- اسمع يا صديقي، هناك ذكريات جمعتنا منذ عودتك للمغرب، ذكريات لن أنساها ما حييت. لقد عملنا معا في القبو نفسه، و كنا نستنشق الرطوبة و العفونة لأزيد من ٤٥ ساعة كل أسبوع. عملنا معا سنتين في هذه الشركة اللعينة، و ضحكنا و بكينا و تقاسمنا الحلو و المر، و الأمل في مستقبل أفضل. و ها أنت اليوم مستقر في عمل

أفضل في أقصى الجنوب، أما أنا فقد وجدت عملا محترما في كندا، في نهاية الشهر الماضي.
- كندا ؟ واو !! إياك أن تهاجر لكندا و تنسى أصولك المغربية !
- لا تخف، أنت تعلم أني أكثر الأسبان الذين يفتخرون بمغربيتهم...
- لا أشك في ذلك.

و مرت الأيام، و لم أجد سبيلا إلى التلاقي مع أصدقائي و رفاق دربي : أرمون و خليل و سباستيان. لكني، كلما أردت استذكار هؤلاء الأعزاء، رددت في أعماقي حكمة من الحكم الخالدة لجيم رون : "اعمل أكثر من الأجر الذي تتقاضاه حتى تستثمر في المستقبل").

تأملات في مفهوم البساطة

لا يهم من تكون أو أين تكون و كم من مليون في رصيدك البنكي و هل أنت سعيد بمقدار ثروتك، ولكن ينبغي عليك أن تحرر نفسك من العبودية التى استحوذت على إدراكك وعقلك. عبودية الاستهلاك... لقد صرح أحد المفكرين الغربيين بأن المجتمعات الاستهلاكية لا يهمها المعنى ولا تبحث عنه، فالسلعة تصبح هي البداية والنهاية وهي مركز الوجود، بل وهي التي تضفي معنى على حياة الإنسان، ما يعني أن السلعة تزيح الإنسان من مركز الكون لتحل محله، وتصبح من هذا المنطلق أكثر أهمية منه.

إن المجتمعات الاستهلاكية تحاول أن توهم الفرد أنه لكي يحقق ذاته لابد له من شراء سيارة جديدة كل عام، ولابد له من شراء قمصان وأحذية من النوع الفلاني، ومن ثمة تتحول كثير من الكماليات إلى ضروريات لا تكتمل السعادة في الحياة الدنيا بدونها. بل إن قطاع اللذة يَعِدُ الإنسان بالفردوس الأرضي الذي سيريحه تماماً من عبء التاريخ والالتزام الخلقي والإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين، بمعنى أن الإنسان تتم محاصرته تماما من الداخل والخارج، فالرسائل التي تصله من الإعلام والأفلام تحمل رسالة الخلاص من خلال السلعة. إن الإنسان من منظور هذه الإمبريالية الفردية الاستهلاكية هو أساسا حيوان اقتصادي جسماني بلا روح لا يبحث إلا عن منفعته الاقتصادية ولذته الحسية، وسلوكه لابد أن يصبح نمطيا حتى يمكن أن يستهلك المزيد و المزيد من السلع التي تنتجها المنظومة الرأسمالية.

يمضي معظمنا حياته ممتلكا و مستهلكا لأغراض و رؤى عديمة الفائدة : ملابس قديمة مكدسة في الحقائب مصيرها الأفضل أن ترمى أو تعطى عوض أن يحتفظ بها، تحف و ديكورات تملأ أرجاء البيت و تفسد جماله و ما ينبغي أن يجسده كمكان باعث على الراحة و الهدوء، أفكار متوارثة غير خاضعة في عقولنا للتمحيص و النقد. أما آن الأوان لنبدأ في التفكير و السؤال : لماذا نحن شديدي التعلق بالأشياء ؟ لماذا أصبح الامتلاك مرادفا للكينونة و عدمه دليلا ساطعا على الألم و الحرمان ؟ ما الذي أحرص على امتلاكه دون أدنى رغبة في التخلص منه و يعقد لي حياتي ؟ هل يستحق مني كل هذا الإجهاد النفسي و العناء ؟ متى أكون أكثر سعادة ؟ هل بأفعال لا تنتهي من الشراء ؟ هل الشراء اللامحدود هو الوجود ؟ إلى أي حد يمكن أن أرضى بالقليل دون أن أقع في شظف العيش ؟

لم نعد نعرف في مجتمعنا المغربي كيف نعيش ببساطة. لقد أصبحنا مستهلكين من الدرجة الأولى : كثير من المقتنيات، أحدث هاتف ذكي، وجبات كثيرة في أقل من يوم واحد، حلم امتلاك منزل فسيح و سيارة فارهة و ارتداء أغلى الملابس و

الاكسسوارات و رغبات و شهوات لا تنتهي. لقد أصبحنا مبذرين و مخربين بشكل لا يطاق. نستخدم أشياء للمرة الأولى و الأخيرة، و نرميها في القمامة. نركب مزيدا من السيارات و وسائل النقل العمومي عوض المشي و حرق الدهون و تحرير الجسد من الخمول و الكسل و الجمود (على الأقل في أوقات الفراغ لا العمل). الماء و الهواء و الطبيعة و فضاءات العيش، كل ذلك نعرضه لمزيد من التلف دون أن نشعر. لا يمكن لأفكار جديدة أن تدخل في نظام القيم لدينا إلا بعد أن نلغي أفكارنا القديمة. ليس كل الأفكار طبعا، و لكن تلك المتعلقة بالتقليد غير الواعي و تكديس أغراض لا فائدة منها و إضافة أشخاص لا نعرفهم على مواقع التواصل الاجتماعي و المنافسة الهدامة في العمل عوض تغليب قيم التعاون و التكامل و الكف عن تخيل أن أكبر عدد من الممتلكات هو طريقنا المباشر إلى السعادة.

إننا نعيش في ثقافة تبجل المال و تمظهراته المادية المجردة و تجد صعوبة بالغة في تقبل من اختار حياة الزهد و البساطة. لماذا ؟ لأن هذا الصنف من البشر يشكلون خطورة على المجتمع الاستهلاكي، و هم في نظر الكثيرين يبعثون على الشفقة، لذلك نخاف أن نحذو حذوهم. الخوف ؟ للخوف أسباب عديدة : الخوف من العجز، من الفقر، من المرض، من الهرم، من الأذى، من الأجانب، من المرتفعات، من العقارب، من بعض الألوان. لكن في الجوهر،الخوف هروب نفسي من الموت و الفناء. و بما أن تملك الأشياء في المجتمع المعاصر هو سمة الغنى المؤدي بطريقة إستيهامية إلى الخلود فإن عدم الامتلاك معناه الموت، ذلك الشبح الذي نخشاه جميعا.

لم نعد نعرف و نعي في مجتمعنا كيف نعيش ببساطة. و لكن لأني حريص أن أنهي هذا المقال بنبرة تفاؤلية، فإليك صديقي القارئ، أربع وصايا لحياة ملؤها البساطة و السعادة:

١- تؤدي شواغل الحياة العصرية إلى الاكتئاب و التوتر. لا تسأل نفسك لماذا تعيش، بل ماذا تنتظر منك الحياة ؟ سافر إذا لتنتعش روحك و ترتفع معنوياتك. سافر بأقل الإمكانيات، فالرحلات تجعلك أقل تشنجا و أكثر إقبالا على الحياة.
٢- اضحك و امرح، ركز على اللحظة الراهنة، فهي في حد ذاتها غنية بما فيه الكفاية. قل لنفسك بأن كل شيء يتغير، الوديان و النبات و المدن و الإنسان و معه الهموم و الأحزان، و أن الدوام لوجه الله.
٣- توقع الأسوأ و تقبل الحياة كما هي. قل لنفسك : إن ما يستجد في حياتي كله خير لي و فيه صلاحي، قل لنفسك أنك تنجح لتزداد نجاحا و تفشل بعض الأحيان لتستخلص دروسا مهداة من الحياة.
٤- أحسن تقدير الحياة. فبما أن وقتنا محدود على هذه الأرض فإن السعادة أن نستمتع بكل لحظة من الوجود، مهما كانت الظروف.

تأملات في الثقافة المالية

بدأت أهتم منذ أزيد من عام بمطالعة أقوال و كتب و مقالات حول المال و كيف تحول هذا الأخير، في أدبيات كثير من الناجحين، إلى وسيلة تشتغل لصالحهم و ليس العكس، بل أكثر من ذلك، كيف أن هناك أصوات إعلامية تنادي باستعجالية تمكين الناشئة من أسس و أبجديات الثقافة المالية، موازاة مع تكاليف المقرر الكلاسيكية، بين علوم و آداب و حرف و فنون و تقنيات. و استوقفتني منذ يومين أقوال مأثورة و خالدة حول الثروة و المال : "محبة المال أصل لكل الشرور. إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان و طعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة / الكتاب المقدس؛ العمل هو فن استخراج المال من جيب رجل آخر دون اللجوء إلى العنف / ماكس أمستردام؛ من الجيد أن يكون لديك المال والأشياء التي يمكن شراؤها بالمال ، لكن جيد أيضا، أن تتأكد من أنك لم تفقد الأشياء التي لا يمكن شراؤها بالمال./ جورج هوراس لوريمر."

لعلكم تتفقون معي : نحن في المغرب نبذل جهداً كبيراً في تعليم طلابنا وشبابنا، وتثقيفهم في مجالات علمية وأدبية عديدة، إلا أن مناهجنا الدراسية والتعليمية تفتقر بشكل واضح و فاضح لوجبة خاصة بالثقافة المالية المجتمعية، ولذا فإن طلبتنا وشبابنا ينهون المرحلة التعليمية الأولى (المرحلة المدرسية) دون حصولهم على المعارف والمفاهيم والأدوات والمهارات التي تعينهم على إدارة شؤونهم المالية. إن قلة الوعي حول دور وأهمية، وحتى مخاطر تسيير الأموال، يمكن أن يؤدي إلى مشاكل مستقبلية، كما أنه يؤثر سلباً على تطور الاقتصاد واستقراره.

من الجيد أن يكون الطالب، في نهاية مرحلة التحصيل العلمي مسلحا بمجموعة من الأدوات و الكفاءات و المهارات التي تتيح له الولوج بنجاح لسوق الشغل. بعيدا عن لوغاريتمات الرياضيات و تفاعلات الكيمياء و تقنيات التواصل و مهارات التسويق و نصوص القانون و قواعد الاقتصاد... يحتاج طلبتنا إلى مادة أو مجموعة مواد حول الثقافة المالية، و هي لعلمي، غير موجودة حاليا في أي برنامج مدرسي أو جامعي. إن تعليم القيم المالية في وقت مبكر من العمر يساعد في غرس عادات الادخار وترسيخها مدى الحياة و يسمح لنا أن نجيب عن سؤال مهم : هل سيكون الشباب اليافع ذكيا و حكيما في تصرفه بالمال؟ ويرى الخبراء أنه بالإمكان غرس قيم الذكاء المالي في الناشئة في سن مبكرة، وقد وضع الخبراء بعض الاستراتيجيات لكل مرحلة من مراحل النمو والتي يمكن أن تساعد على تربية متوازنة تلبي كل احتياجات النفس البشرية، نفسية، بدنية، روحية أو مادية.

أريد في هذا المقال أن أتقاسم معك أيها القارئ الكريم مجموعة من الأفكار و الانطباعات حول المال دون أن أزعم بتاتا أني أوجهك لطريق معين. إن هدفنا هو

التفكير بصوت عال حول موضوع ليس بالتابو على ما أعتقد. كنت أود قبل أسابيع قليلة أن أكتب نصا حول الثقافة المالية، أو كيف ينظر الناس إلى المال، هل هو وسيلة، غاية، هدف من أهداف الحياة الكبرى... و بعبارة أخرى هل يمكن الحديث عن منظومة للقيم يدور في فلكها الحديث عن المال و الرأسمال و الإنفاق والادخار.

كل ذلك جال في خيالي في الآونة الأخيرة... إن بعض الناس يحاولون التعامل مع المال متظاهرين أنه غير مهم و أنه ليست هناك استراتيجيات للكسب و الإنفاق و الادخار يمكن تطبيقها على مدار حياة كاملة، بنوع من المرونة، و لكن مع الحفاظ على الحد الأدنى من الصرامة و الجدية. إن الافتقار للمال يقود إلى ضيق العيش و أحيانا إلى تراكم الديون. إن الضغط المالي يؤثر على كل واحد منا، شاء أم أبى، و كثير منا، حتى لا أقول كلنا، ندرك أن المال وسيلة للتعامل و التحويل و البناء و التصاهر و اقتسام القيم في المجتمع.

إن المال قرين بمجموعة من المعاني و الكلمات الرنانة... إن المال مصدر القوة والجاذبية والإثارة و الحرية. إن الحرية المالية تعني أن تكون لك مصادر دخل مالية ثابتة وموثوقة وتدر عليك من المال فوق كفايتك دون أن تكون أنت مضطرا إلى العمل المباشر المستمر، هذا هو تماما ما نعنيه عندما نصف شخصا بأنه قد تحرر ماليا، أي أنه لم يعد يقلق بشأن دخله أو مستقبله المالي، فهو يملك رأس مال راسخ ونشط يؤمن له الدخل المستمرّ والنمو المالي المتواصل، و هذا الوضع المالي المتقدم يتيح له المزيد من الوقت بعيدا عن العمل الدّؤوب والانشغال الذي لا ينتهي، وبالتالي يتيح له المزيد من الوقت للاهتمام بأمور حياتية أخرى مثل الأسرة والاستمتاع بالحياة وتنمية الذات والعمل الخيري و هي مما يعتبره البعض أهم من المال المجرد والكدح المتواصل في سبيله.

و الآن ما هو شعورك تجاه وظيفتك أو مهنتك ؟ هل أنت من أصحاب المهن الحرة ؟ هل اخترت الوظيفة طلبا للأمان المادي أو خدمة للصالح العام ؟ هل يعني لك كسب المال كل شيء، قيمة القيم، أم أن ذاك هو الخطوة الأولى، و ليس الوحيدة، لحياة تفيض إبداعا و إشعاعا و عطاء ؟ هل تحب أن تكسب المال وتشعر تجاهه بالحماس أم أنك متقاعس ترضى بالقليل رغم ما يتاح أمامك من الفرص في الحياة ؟ هناك كليشيهات سائدة في مجتمعنا المغربي تؤسس لثقافة معادية للمال.

لا أريد أن أعمم لأن التعميم عمى، لكن أرجوك، استمع معي لهذه الأصوات : "الفلوس وسخ الدنيا / المال فتنة / لا تسأل إلا الصحة و السلامة و لا شيء غيرهما...". أتفق معك حول قيم مغربية إسلامية كبرى : "القناعة كنز لا يفنى، و الله يجعل الفلوس في جيوبنا ماشي في قلوبنا، و الله يرزقنا الكفاف و العفاف و الغنى عن الناس". لكن، ما لا أتفق معه هو أن يلعن المال صباح مساء و هو عصب الحياة،

و أن يحتقر في الظاهر مع أنه يبجل في الأعماق. لم إذا هذا الخطاب المزدوج ؟ أين الوضوح و الانسجام مع الذات ؟

أحلام

الكتابة في ذروة الألم بحث لا ينتهي عن المعنى. الملاذ الأول و الأخير. قطعة من الحياة... واحة من الأمل في صحراء قاحلة...

أحلام... هل يحمل اسمك معناه ؟ هل مازلت تحلمين مثلما كنت بالأمس ؟ الأمس ولى وصور مشرقة من البراءة و اللهفة و الخيال الجامح و أوهام الحب الخالد اختفت في غياهب النسيان. أحلام... أين أنت من الحلم ؟ أين أنت من الحق البديهي في الحياة ؟ أين الكرامة و الإنسانية و حياتك صارت جحيما لا يطاق ؟ أوامر السيد لا تنتهي و جدران البيت منتهى البصر، والليل نهار، و النهار ليل، و الضياء ظلام.

أحلام... أين أنا من الحلم ؟ ها هو صوت أمي يجلجل في رأسي كالجرس :

- أنت في الثانية و العشرين و زواجك بإدريس فرصة نادرة لا تعوض. اقبلي دون تفكير.

و ها أنذا أصرخ بصوتي الضعيف :

- إني لا أحبه، لا يمكن أن أرتبط برجل لا أحبه...

- الحب يا بنيتي لا يضمن لقمة العيش. الحب الذي تشاهدينه في مسلسلات الأتراك لا وجود له في الواقع...

- أمي، أرجوك...

و هنا زلزل البيت صوت الآمر الناهي :

- هذي أمك و أنا أبوك و لا مجال للنقاش. القرار اتخذناه و السلام...

و تم الزواج في لمح البصر، و انتقلت أختي الصغرى أحلام للعيش مع إدريس بعيدا عنا، على مسافة ألف كيلومتر، في أقصى جنوب البلاد. و كنت الوحيد في بيتنا الذي عارض بشكل صريح هذه الزيجة، و لكن لم يسمعني أحد، و كنت كمن يسكب الماء في الرمل. لا أحد سمع كلامي. و دارت الأيام. و نالت أحلام من القدر صفعة مدوية ارتج لها كيانها...

اسمي أحلام... لكن، أين أنا من الحلم ؟ إن الحياة مع "السيد" جحيم أبدي و مرارة لا تنتهي. لا أمل في الأفق و القلب مستودع للحزن و الألم.

- اسمعي يا أحلام. لا أقبل أن تعملي و تخالطي الرجال. صحيح أنك حاملة لشهادة جامعية، لكن بيتك أولى بالرعاية و الاهتمام...

- لم يكن هذا وعدك لي في البداية...

- عن أي وعد تتحدثين ؟ لقد تغيرت الأمور...

- تغيرت الأمور؟ لقد خدعتني و تريد أن تدمرني...

- أنت التي تريدين أن تدمري حياتنا بخروجك للعمل. اصمتي... لا أريد نقاشا في هذا الموضوع...

- لن أصمت. سوف...

و كانت هذه المرة صفعة إدريس أقسى من القدر... و كان ثمة صمت و حزن يعتصر الفؤاد و ظلم ينسف القلب. و كان الملاذ الباقي أن أكتب. و هل نجحت الكتابة يوما في شفاء أسقام الروح ؟

بلى أختاه ! إني أحمل على عاتقي أن أكتب قصتك و أنقل معاناتك إلى العالم :

"كان يا ما كان...إني أمقت هذه العبارة ، لكن دعونا نبدأ بها قصتنا التي لا علاقة لها بالعوالم الفردوسية... كانت هناك فتاة في مستهل العشرين تدعى أحلام، و كانت لا تحمل من اسمها إلا الحلم بالحب الملتهب، الحب نفسه الذي تشاهده في مسلسلات الأتراك، و قبل و دموع و عناق و تضحيات و أشواق يستعر لها الكون. و كانت أحلام بطلة قصتنا بسيطة للغاية : أن تحيا مع من تحب، أن يقضم العاشقان تفاحة ناضجة تلتقي من أجلها الشفتان، أن ينظرا معا في نفس الاتجاه و تلتقي عيناهما فتبرق منهما بسمة ليس لها سبب، لكنها فوق كل الأسباب، أن يعود العاشقان من العمل و يتحادثان عن أعباء يوم كامل تحت مظلة المحبة و التعاطف و التضامن، أن يسافرا معا إلى عوالم مجهولة بقلب واحد يخفق أملا و حلما بحياة أفضل، أن يكون النظر في وجهه غاية الغايات و منتهى السعادة و مصدرا للطاقة لا ينضب... تلكم كانت أحلامها، و لست تحملين من زيجتك، و أنا بصدد الاستماع إليك إلا أسوأ الأحاسيس و الانطباعات: قبلة أولى بلا طعم، فراش بارد، الرائحة الكريهة للسيد ذي الأوامر، و الاغتصاب الغاشم، و عض الأنامل من الحسرة و الندم، و البكاء الصامت في دياجير اليأس و الليل، و الحمل المفاجئ، و عناد الأبوين. ليس لك من رجل سواه. تريدين الطلاق؟ اسكتي أيتها المجنونة و صوني بيتك..."

كان يا ما كان... أحلام... الأمس ولى، و صور مشرقة من البراءة و اللهفة و الخيال الجامح و أوهام الحب الخالد اختفت في غياهب النسيان. أحلام... أين أنت من الحلم ؟

موسى و عيسى و محمد

جاء في إحدى الجرائد الالكترونية الصادرة في ٣ أغسطس ٢٠١٦ ما يلي : " يتعرض أفراد من الجالية المغربية في عدد من الدول الأوربية بشكل مستمر لدعوات تغيير ديانتهم من الإسلام إلى المسيحية من طرف جماعات تمارس التبشير... و استنكر عدد من مغاربة الخارج هذه الممارسات، معتبرين أنها مس بحرية تدينهم و تشويش على معتقداتهم".

هناك سؤالان يطرحان في ضوء الظاهرة المشار إليها أعلاه :

- **لماذا ينزعج بعد المسلمين المقيمين في أوربا من دعوات التحول إلى المسيحية التي تضطلع بها الجماعات المسيحية ؟**

- **هل مصدر هذا الانزعاج ضعف في العقيدة أو إحساس بالتفوق الديني ؟**

هناك دول أوربية كثيرة تحكمها العلمانية و حرية المعتقد تقطن بها الجاليات المسلمة المستهدفة بحملات المبشرين، فلم لا تقتنع هذه الأخيرة أن كل جماعة دينية لها الحق في الترويج لأفكارها بعيدا عن منطق الفاشية أو الإلزام ؟ هنا، أعتقد أن مبدأ "لا إكراه في الدين" هو مبدأ كوني عابر للثقافات و لحدود الزمان و المكان، قبل أن يكون ذا حمولة إسلامية و مرجعية قرآنية. شخصيا، و هنا لا أريد بتاتا أن أتقوقع في الأمثلة أو الحالات المعزولة... أقول، شخصيا لا يزعجني أن يتحدث لي مسيحي أو يهودي أو بوذي... عن معتقداته.

أكثر من ذلك، حتى و إن دعاني بكثير من العاطفة و الحماس أو محاولات الإقناع إلى التحول من دين لآخر، فلن أفعل إلا ما يمليه علي ضميري و وعيي الشخصي.

دعه يعمل، دعه يمر... في رأيي أن أي مؤمن له كامل الحق أن يعتقد أن دينه هو الأفضل، بما يتيح له إن شاء أن يبشر به. إن هناك عددا من المسلمين القاطنين في دول الغرب يصمون آذانهم و لا يتقنون فن الحوار مع من اختلف معهم في الفلسفة أو العقيدة الدينية. إن الفكرة التي أريد أن أدافع عنها في ثنايا هذه السطور واحدة و واضحة : أيها المسلم القاطن في الغرب، من حقك أن تكون غيورا على دينك متمسكا بجوهره و تعاليمه، و لكن لا داعي لأن تنزعج من حملات المبشرين. إن أي مبشر يحمل رسالة قد نتفق أو لا نتفق مع مضمونها.

دعه يعمل، دعه يمر... إن قوة شخصيتك تكمن في أن تتبنى و تمارس ما تعتقد أنه عين الصواب دون أن تملك حساسية مفرطة تجاه تعدد و تنوع الأديان. هذا مبشر يدعوك إلى التحول للمسيحية ؟ ممتاز ! استمع له و افعل ما يمليه عليك ضميرك. استفت قلبك. و إذا اشتعلت مشاعرك الدينية بالعاطفة و الحماس، فحدثه أنت من جانبك عن الإسلام.

قل له، بل اهتف أمام البشرية بأعلى صوت : **الإسلام دين الحب و التسامح. الإسلام تعايش و قبول للاختلاف و تساكن و تراحم.**

إن العلمانية الغربية لا مجال معها للإكراه الديني و تنوع الأديان داخل بلد أو قارة ما مؤشر إيجابي و ظاهرة صحية. إن هذا من شأنه أن يفتح قنوات للحوار و التواصل بين الشعوب، دون تعصب أو تزمت؛ **ف"لكم دينكم و لي دين" و "إنا جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا". إن الحكمة إذا في الاختلاف هي التعارف.**

و هنا تحضرني قصة شخصية تعود أحداثها إلى عام ٢٠٠٦. فقبل عشر سنوات من هذا اليوم، كنت لا أزال أسكن في الديار الفرنسية، و كنت أتساءل كأي شاب يغذي وجدانه حب الاستطلاع و الانفتاح على العالم... كنت أتساءل دون كلل أو ملل عن السر الرباني في اختلاف الأديان. و كنت دائما أجد نتفا من الأجوبة على لسان جيراني من المسيحيين و اليهود.

و كان من بينهم ميشيل، ذلك الفتى المسيحي الوسيم، الذي لطالما ردد على مسامعي الكلام نفسه :

- في لبنان، بلدي الأم، لدينا أديان و طوائف عديدة، و هذه نعمة من الله... صحيح أني مسيحي، لكني أجد الإسلام دينا في غاية الجمال، لأن كثيرا من قيمه السمحة و مبادئه الكونية مذكورة في الإنجيل و في أقوال السيد المسيح. و على فكرة، فإن المصحف الذي أهديتني إياه في رمضان الماضي ترك أثرا عميقا في نفسي. لقد قرأته ثلاث مرات و أحببت لغته القوية و أفكاره العظيمة.

أصارحك القول أني مستعد لدخول الإسلام، لكن ما يزعجني في دينكم هو عذاب جهنم. لم لا تكون هناك جنة دون نار ؟ وكيف يقبل الرب أن يلقي بجزء من البشر، و هو خلقهم على صورته، في النار ؟

سوف نمثل جميعا أمام الله يوم الحساب، هذا أكيد... و ساعتئذ، سأقرأ سورة الفاتحة إذا تبين لي أن الإسلام هو الدين الحق. أنت تعلم أني أحفظ الفاتحة عن ظهر قلب...إنها تذكرني ب"أبانا الذي في السموات".

كان هذا ميشيل و كانت هذه بعض تأملاته حول الإسلام. أما بنيامين، جاري اليهودي، فكانت له رؤية أخرى :

- هل تظن أن موسى كان له متسع من الوقت ليبلغ الرسالة ؟ ألم تكن حياته شاقة، كلها دعوة و جهاد و أسفار و هجرة و متاعب و مصاعب لا تحصى ؟ حتما لم يكف موسى الوقت لينقل لبني إسرائيل كل التعاليم. إن هذا حال كل نبي مرسل، و إلا فلم احتاجت البشرية بعد كليم الله إلى عيسى و محمد ؟؟؟

الدبلوم و الحياة و النجاح

ورد في إحدى الجرائد الالكترونية المغربية الصادرة بتاريخ ١٠ أغسطس ٢٠١٦ ما يلي : " آلاف الأطر التربوية يهددون بحرق شهاداتهم وأجسادهم في طنجة...المسيرة الاحتجاجية ليوم الأحد المقبل ستعرف حرق نسخ من الشواهد، على أن يتم التصعيد في ما بعد بحرق النسخ الأصلية والوزرات... وعبر آيت الرايس (أحد المشاركين في المسيرة الاحتجاجية) عن استعداد الأطر لحرق أجسادها إذا لم تتم الاستجابة لمطالبها..." لدينا مجموعة من التساؤلات بشأن هذا المقال : ألا تعتقد هذه الأطر التربوية أن التفكير في حرق الشهادات و الأجساد ينم عن غباء منقطع النظير إن لم يكن الغباء بنفسه ؟ إن أقدمت هذه الأطر على عملية الحرق المزدوج ماذا ستربح ؟ أجساد مشوهة ؟ الموت ؟ التخلص من الشهادات الجامعية ؟ بكاء مرير لأم حنون فقدت ابنا أو ابنة لها ؟ خيبة أمل أب قدم الغالي و النفيس لتربية و تعليم الأبناء و فقد واحدا أو واحدة منهم في لحظة طيش استبدت بذاك أو بتلك ؟ إننا نعيش في بلد نخره الفساد و فقد الكثير من شبابه الإيمان و الأمل. إن هذا الفساد غول رهيب يتسرطن و ينتشر في كل أجهزة و مفاصل الدولة. هناك من يطمح أو يحلم بالقضاء على الفساد. إن هذا مثير للسخرية و الرثاء...

اسمعوني جيدا : إن نهاية الفساد تساوي انهيار الدولة. إن حاملي الشهادات العليا المعتصمين أمام البرلمان ليل نهار يحيلون على حالة اجتماعية تنضاف إلى هؤلاء الذين يعتزمون حرق شهاداتهم و أجسادهم. كلاهما يريد أن يحل المشكل بمشكل آخر و يصر على تضييع الوقت. هناك جزء أعظم من حاملي الشهادات يفتقر إلى الحلول العملية لمواجهة مشكل البطالة. إن أسابيعا و شهورا طويلة من الوقوف أمام البرلمان كانت ستثمر أكثر إن تم استغلالها في مجموعة لا منتهية من البدائل الفعالة : دورات تكوينية في اللغات و الكمبيوتر، القناعة بالأعمال الصغيرة في انتظار الأفضل، البحث عن فرص للعمل في القطاع الخاص... إن بائع النعناع أو من يسرح بعربة التين الشوكي طيلة يومه و كله أمل في غد مشرق لأفضل حالا بل مئة مرة من هؤلاء. عندما تصل الدولة إلى الإفلاس : إفلاس الميزانية و الحلول و الأفكار الإبداعية و قيم تثمين العقول و الطاقات الشابة، فإن الحل سهل و بسيط و هو لا يحتاج إلى عصا موسى أو خاتم سليمان : البحث عن البدائل. لا أريد أن يفهم القارئ من كلامي أني أدافع عن الظلم. ظلم الشباب و عدم الإنصات إليهم من طرف

المسؤولين و صناع القرار. لا أريد أن يفهم من كلامي أني أدافع عن الحكومة. ليس لدي أي انتماء حزبي أو سياسي. إني من دعاة إيجاد الحلول في الحياة و البحث الدائم عن البدائل. لدي الآن على الأقل قصتان واقعيتان لشابين لم يمارسا لعبة الشكوى و التذمر من الظروف، بل كانا من أمهر الناس في مجابهة صعاب الحياة و البحث بذكاء و صبر عن مستقبل أفضل.

عندما نال عبد الحق شهادة البكالوريا بميزة حسن جدا بالعرائش، مسقط رأسه و مسرح طفولته و صداقاته و ذكرياته، كان حلمه أن يدرس الإعلام و التواصل و يتخصص في الصحافة المكتوبة، لكن القدر لم يسعفه رغم علاماته الجيدة و تمكنه من ناصية اللغة. لم يستسلم عبد الحق لليأس، و حزم حقائبه ليدرس في تونس. أمضى هناك أربع سنوات و عاد إلى الوطن ليبحث عن عمل. و مرة أخرى لم يحالفه الحظ رغم عام كامل من البحث المضني. و هنا قرر عبد الحق أن لا يضيع مزيدا من الوقت، فجمع أغراضه من جديد و توجه هذه المرة لفرنسا لأجل الحصول على دبلوم الدكتوراه في الإعلام و التواصل. و بفضل المولى تحقق الهدف، لكن عبد الحق كان يحس دائما أن كل نجاح يكون خارج أرض الوطن يظل ناقصا، و أنه مثل الفاكهة المهجنة براق لونها لكنها بلا طعم، لذا قرر العودة إلى المغرب، و استنفذ عاما كاملا في البحث عن عمل بأرض الوطن. لم يعرف اليأس إلى قلبه طريقا. أرسل إلى الشركات و الجامعات ما يزيد على ١٥٠ نسخة من سيرته الذاتية و أجرى زهاء ١٠ مقابلات مع المشغلين، و أمكن له في نهاية المطاف أن يمتهن عملا جيدا دون واسطة. لقد كان يؤمن دائما أن الفساد راسخ في كل مكان و شبر من البلاد، و لكن ما كان يؤمن به أكثر هو أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا و أن واقعية كل من يريد أن يخدم وطنه تقتضي أن لا يهرب من الفساد بل أن يعيش بين مخالبه بقلب يفيض شجاعة و صبرا و مرونة. القصة الثانية لصاحبنا سالم الذي يفضل أن يرويها بنفسه للقارئ : "كان نصيبي من الدراسة إجازة في العلوم الفيزيائية حصلت عليها في مستهل عام ١٩٩٩. لم تفاجئني البطالة و لم أندم على الشهور التسعة التي قضيتها في البحث عن عمل. كنت براغماتيا و غادرت سريعا طانطان، مدينة الصبا و الشباب و المنشأ، و قبلت أن أعمل في الصباغة و البناء إضافة إلى السمسرة في العقارات. إني أربح من كل هذا ما يكفيني و أعيل بكرامة أبنائي و زوجتي المقيمين في طانطان، و الذين أزورهم في كل عام مرتين. و ما العيب في ذلك ؟ إن ما يعيب الرجل في مجتمعنا أن يكون فارغ الجيب. ربما يبدو لكم ذلك صعبا، لكني أعتقد أن

دبلومي و إن لم يكن له علاقة مباشرة بما أزاوله من مهن، فإنه رغم كل شيء أنار لي الطريق و وضع بثبات قدمي في معترك الحياة. إن شعاري جملة واحدة أومن بها حتى النخاع : إن المفلس هو من ينتظر من الحياة أن تجود عليه دائما بما يتوقع، و الناجح من يخوض غمار اللامتوقع".

إن آلاف الأطر التربوية التي هددت بحرق شهاداتها وأجسادها بطنجة في أغسطس ٢٠١٦ إذا لم تتم الاستجابة لمطالبها كان الأجدر بها أن تحرق كل أفكارها السلبية التي تحيل إلى أسلوب التهديد و العنف الرمزي اللامجدي والتواكل و فقدان الإيمان بالذات. إن بائع النعناع و صاحب عربة التين الشوكي و عبد الحق و سالم، و غيرهم من الشبان الواقعيين الشجعان لأفضل حالا و مآلا، بل مئة مرة من هؤلاء.

ما معنى أن تحب عملك ؟

هذا المقال موجه لكافة القراء، لكن قلب الجمهور هو الفئة الشبابية العمرية ١٥-٣٥ سنة. إن كنت تحب العمل و النجاح و الإنجاز في الحياة فاقرأ هذا النص من ألفه إلى يائه. و إن كنت لا تحب العمل فلا داعي لمطالعة هذه السطور...

ليكن شعارنا العمل الدائم و الجدي، بل المزيد و المزيد من العمل. العمل الدؤوب مفتاح كل نجاح و واجب مقدس. إن الله لم يخلقنا للحياة السهلة و الكسل. إن الأيام تمضي بصيفها اللافح و خريفها المعربد و شتائها القاسي و ربيعها الرقيق و نحن نمضي معها و لا يبقى لنا من أثر طيب في الحياة، بعد الممات، إلا كلمات و شهادات يرددها الآخرون عن عملنا الجاد و اخلاصنا في معركة الحياة : "كان انسانا جادا، يعمل ليل نهار؛ لقد مات و لكنه كان رمزا للاجتهاد و العمل؛ كان يحب عمله حد الجنون...". إن الانسان لم يوجد فقط ليتأمّل و يحبّ الحياة و ينظّم الشعر و يؤلّف الموسيقى و يلهو و يمرح بل وجد أيضا ليعمل و يشقى و يكابد و ينتج و يحوّل ظواهر الطبيعة إلى أشياء نافعة و ينمّي ثرواته و يستقلّ نسبيّا عن الجماعة التي وجد ضمنها في السابق لا سيما أنّه كلّما أخلد إلى الكسل كلّما صعب عليه أن يعزم على العمل. و لعلك مثلي تؤمن أن الله خلق الإنسان للقوة و النضال و المجد، و أن هذه القيم العليا لا يمكن أن تنال إلا بالعمل الصادق. العمل من صميم القلب قوة، الاستمرار فيه قوة و الدرجات العلا عند المولى لا يظفر بها المؤمن إلا بالعمل الجاد في الدين و الدنيا.

قبل أيام قليلة، هاتفني صديق عزيز على القلب، و دار بيننا الحوار التالي :

- كيف حالك آ سي المهدي ؟ لقد اشتقنا إليك كثيرا !

- و نحن كذلك آ با يوسف...

- ما آخر أخبارك ؟

-لا شيء مميز...أنهيت عطلتي الصيفية و ها آنذا اكتوي بلهيب فاس...

- الصيف يمضي و الحياة كلها تمضي يا صديقي، لا يهم...

- كلامك صحيح...

- و أنت يا يوسف ما هو جديدك ؟

- هناك أشياء جديدة و كثيرة طرأت في المدة الأخيرة. تكللت مجهوداتي الدراسية بالنجاح في الماستر، و رغم عملي البنكي المضني نظمت وقتي و أسست جمعية رياضية مع بعض الأصدقاء، و بدأنا مرات عديدة في الأسبوع نركض في الغابة و نتمرن و نمشي لساعات طويلة و نلعب كرة القدم. لقد ودعت حياة الجمود و صار لدي برنامج رياضي بمعنى الكلمة. أصبحت حياتي أفضل. بل أكثر من ذلك أصبح هدفنا في الجمعية ليس الركض و المرح فحسب بل التوعية الرياضية و التربية على القيم. التسامح و التعاون و التضامن و قيم كثيرة أخرى. أصبحت بفضل ذلك نشيطا أكثر و منطلقا و محبا للحياة الاجتماعية. أحيانا تكون لدينا مشاكل في الجمعية لكننا نتغلب عليها بالحوار الدائم و التواصل الايجابي. إني أحس بحلاوة و عظمة عملي داخل الجمعية...

- كم أنا سعيد بسماع كل هذا. انك تذكرني بالنادي السينمائي الذي أسسناه في المعهد، منذ أزيد من عامين. كان توجهنا و لا زال الترويج للسينما الهادفة و تربية الطلاب على العمل التطوعي داخل النادي السينمائي. يمكنك أن تتخيل الكم الهائل من القيم التي تعلمناها و تربينا عليها جميعا داخل النادي...

لا أريد أن أكمل الحوار الذي دار بيني و بينك يا يوسف، لكني أريد أن أوجه تحية حب و احترام إلى كل الذين يعملون بجد و إخلاص في سبيل الوطن، في سبيل القيم، في سبيل الإنسانية، في سبيل الرخاء و السلام و التناغم الكوني. تحية مودة و تعاطف بلا حدود...للأم مع ابنائها، للأستاذ مع تلاميذه، للفلاح في حقله، للمهندس في شركته، للباعة المتجولين تحت سياط الشمس اللاهبة، لكل شرطي و رجل أمن يخدم مواطنيه و وطنه بإخلاص، لكل عامل مجد و مجتهد...

ليكن شعارنا دائما و أبدا العمل الدائم و الجدي، بل المزيد و المزيد من العمل... فالعمل الدؤوب مفتاح كل نجاح و واجب مقدس... فالله خلق الإنسان للقوة و النضال و المجد، و هذه القيم العليا لا يمكن أن تنال إلا بالعمل الصادق... العمل من صميم القلب قوة، الاستمرار فيه قوة و الدرجات العلا عند المولى لا يظفر بها المؤمن إلا بالعمل الجاد في الدين و الدنيا.

كيف تكون صانعا للتفاؤل ؟

أزمات، مشاكل، غلاء في المعيشة، قلق، توتر، جري مستميت وراء لقمة العيش. حياة صعبة. كلها كفاح. يسيطر التّشاؤم على حياة الكثير من النّاس عندما يواجهون مصاعب الحياة المختلفة وتحدّياتها، وتراهم يقفون في محطّاتٍ كثيرةٍ من محطّات الحياة ليسيطر عليهم التّشاؤم، فترى عزيمتهم قد فترت، وقواهم قد ضعفت، وسيطر اليأس على قلوبهم وأرواحهم...

إنّ علاج التّشاؤم يكون بعلاج أسبابه، وبزرع روح التّفاؤل في حياة الإنسان، فالتّفاؤل هو نقيض التّشاؤم، و هو الحالة التي تجعل من الإنسان شخصاً محبّاً للحياة، يتطلّع إليها من منظورٍ إيجابيّ، ولا يرى الفشل في الحياة، ولكنّه دائماً يرى الأمل والنّجاح مهما خفت نوره.

أنت أمام مصادر عديدة للقلق و التّشاؤم في حياتك اليومية، لكنك لا تملك إلا أن تتسلح بالشجاعة و تطمح دوما إلى النجاح...أكثر من ذلك، لا تملك إلا أن تكون صانعا للتفاؤل...كي تكون هذه السطور مفيدة يجب علينا حتما أن نتفادى كل خلط و نحذر من مغبة الوقوع في الأوهام. أن تتمسك بالتفاؤل لا يعني أن تقع فريسة لأحلام صعبة التحقيق...

التفاؤل هو ما يجعل الانسان سعيداً ومحباً للحياة ويرسم بارقة أمل فى أذهان البشر ويجعلنا ننظر إلى المستقبل بنظرة متفتحة ومشرقة على مدى بعيد.. لذا كيف نزرع التفاؤل بداخلنا كيف ننشر البهجة أينما حللنا و ارتحلنا ؟ هل التفاؤل الوان ام التفاؤل درجات ؟ هل هناك مقياس للتفاؤل ؟ هل هناك معنى حقيقى للتفاؤل ؟ ما هيا قواعد التفاؤل؟ ما المقصود بالتفاؤل و ما هي مبادىء واساسيات بناء التفاؤل داخل انفسنا ؟ ما هيا كلمات التفاؤل ؟ وكيف أكون متفائلاً ؟

كل تلك الاسئلة تدور فى خواطرنا ونريد اجابة عنها ...لكن أهم إجابة عنها هي ٦ خطوات إذا اتبعتها في حياتك اليومية أمكن لك أن تكون بامتياز صانعا للتفاؤل.

ما هي هذه الخطوات ؟

١. كرر عبارات التفاؤل والقدرة على الإنجاز " أنا قادر على.. سأكون أفضل.. أستطيع الآن أن.. "

٢. استفد من تجاربك وعد إلى نجاحك السابق إذا راودك الشك في النجاح أو حاصرك الفشل

٣. لا تشتك من الظروف المحيطة بك بل حاول أن تستثمرها دائما لصالحك

٤. ابتعد عن ترديد عبارات الكسل "أنا غير قادر.. لم أعد أتحمل.. أنا على غير ما يرام.. ليس لدي أمل في الحياة.. "

٥. سجل إنجازاتك ونجاحاتك في سجل حساباتك وعد إليه بين فترة وأخرى وخاصة عند الإحساس بالإحباط

٦. ابتعد عن رثاء نفسك و تغلب على مشاعر الألم ولا تدع الآخرين يشفقون عليك

و الآن، إليك الاستراتيجية الثلاثية لصناعة التفاؤل :

١. انطلق كل صباح وانت مفعمٌ بالحيويّة والنّشاط، ولا تجعل روح التّشاؤم تسيطر عليك، بل اشحن نفسك بروح التّفاؤل...

٢. عش سلاماً داخليّاً مع نفسك، فمن تصالح مع نفسه قبل أن يتصالح مع النّاس سرت روح التّفاؤل في جسده وقلبه، فتراه إذا خرج من بيته وواجهته مصيبةٌ أو مشكلة قال بلسان المتفائل لعلّه خير، وهو بذلك يعبّر عن التّصالح والسّلام الدّاخلي الذي يعيشه في قلبه، كما يعبّر عن الإيمان بالخالق.

٣. ابتعد عن الكلمات السّلبيّة التي تزرع التّشاؤم في القلب وقد يتداولها الكثير من النّاس مثل كلمة مستحيل، ولا يمكن، لن يحدث ذلك، ولن أرى خيراً، بل عوّد نفسك على سماع الكلمات التي تحمل البشرى والتّفاؤل للنّفس، والتي تكون دافعاً للبذل والعطاء في هذه الحياة.

بعيدا عن البحر

أستغرب كثيرا لما يدعوني للكتابة و البوح فقد ولى منذ سنوات ذاك الزمن الذهبي الذي كان فيه الناس يقرؤون فيه بشغف القصص و الحكايات. هل هذه قصة ؟ هل هي شهادة ؟ هل هي نص أدبي ؟ لا يهم ! إنها باختصار كلام من القلب. فلأكتب الآن و لأدع الكلمات تمزق الصمت و تترك لها ذاكرة في الزمن مثل آثار لأقدام إنسان بدائي في إحدى كهوف إفريقيا.

ولدت عام ١٩٧١ في مدينة تبعد عن البحر ٣٣٣ كلم و أمضيت فيها أزيد من ١١ سنة. و حكمت ظروف عمل والدي أطال الله في عمره أن ننتقل في مستهل عيد ميلادي الثاني عشر إلى مدينة ترقص ليلا و نهارا على إيقاع البحر و عبيره الفواح و أنغامه الساحرة. كان البحر و لا زال رغم أني بعيد عنه لحظة كتابة هذه السطور جزءا لا يتجزأ من حياتي و طقوسي اليومية. كنت أستمتع بمشهد البحر المعانق للأفق من سطح البيت، و كنت في سنوات مراهقتي شديد الحزن بسبب و بلا سبب، و كان البحر وعاء و حاضنا لنوستالجيا المراهق الذي كنته آنذاك.

و عندما أكملت السادسة عشرة من عمري قلت لأبي و نحن جالسان في مقهى ميرامار المطل على الأطلسي :

- أبي، أنا وحيد في هذا العالم. أريد أن أتزوج...

و قهقه والدي حتى دمعت عيناه و قال لي مازحا و لكن بكثير من التعاطف و الندية:

- لقد نضجت مبكرا يا بني. مشروعك نبيل و فكرتك ممتازة. انتظر حتى تكمل الثامنة عشرة، السن القانوني للزواج، و سأبحث لك عن زوجة جميلة و أسكنكما معي في بيت واحد...

و كان رد فعلي أن قهقهت بدوري لجوابه الطريف الذي لم يخطر يوما على بالي...

و مرت ١١ سنة أخرى، و وجدتني أعمل و أنا في مستهل السابعة و العشرين في المبيعات على ظهر سفينة "بلادي" المتنقلة ذهابا و ايابا بين طنجة و سيت في أقصى جنوب فرنسا. و كنت في منتصف كل ليلة أصعد إلى الطابق العاشر لسفينة "بلادي" و أطيل النظر إلى البحر الهائج المصطفقة أمواجه في سكون الليل. كنت أكتب على

الأمواج أسراري و هواجسي و أحلامي. ما معنى مقامي في فرنسا و قد نلت دبلوم الدكتوراه و آن لي ربما أن أعود إلى الوطن ؟ هل أصبحت مثل سفينة بلادي متنقل الوجدان بين ضفتي المتوسط دون أدنى إحساس بالانتماء ؟ هل هذه السفينة التي اشتغلت بها ٣ اسابيع كاملة رائحا غاديا بين المغرب و فرنسا... هل هذه السفينة هي حياتي اللامستقرة منذ أن غادرت مسقط رأسي في الثانية عشرة و سكنت في مدن كثيرة بحكم تنقلات أسرتي و مساري الدراسي و المهني الحافل بالتحولات ؟

البحر في عمقه و صخبه اللامنتهي... مرآة لذاتي المشردة... مستودع للأسرار... مساحة من الحلم في صحراء الحياة...

ما في الفؤاد و الخيال الجامح إلا البحر...

و أعود بذاكرتي إلى خريف ٢٠١٥ و إلى أحاديثي الدسمة مع رفيق و نحن في مقهى روج إي نوار المطل بدوره على البحر:

- كلنا نحب الوطن آ سي عاطف، و لكن... (و تنهد من قلب متألم مكلوم)

- و لكن ماذا يا عزيزي ؟

- أنا أؤمن بفكرة الإنسان الكوني. إني مواطن عالمي و أحلم رغم أني أقترب من الخمسين أن أهاجر إلى الضفة الأخرى للأطلسي، إلى كندا. أريد أن أبحر إلى كندا و أتخلص من حياتي المقرفة هنا. كثير من البلدان تمضي قدما في مسار التنمية و الإصلاح و بلدنا يسقط يوما بعد يوم في مهاوي التخلف...أنت أستاذ نجيب و طموح و أنا مثلك أعشق العلم و التعليم...و لكن ما الذي قدمه هذا البلد للعلم و المعرفة ؟ لا شيء...إننا نعيش في نظام أخلاقي و اجتماعي و اقتصادي أصبحت قيمه الرئيسة المال و الفساد و الزبونية. إن نهاية هذا الثالوث تساوي انهيار الدولة. هل هناك أمل أن يتغير شيء في هذا المستنقع الآسن ؟

كان كلام رفيق قويا، صادقا و صادما إلى أقصى حد. نحن نعيش في بلد غارق في الجهل، و ثمة عدد هائل من المواطنين فقدوا الأمل و القدرة على الحلم...

إنـي أستغرب كثيرا لما يدعوني للكتابة و الاعتراف، لكنـي أحلم بدوري أن أسافر بعيدا، أن أبحر إلى عالم جديد، أن أعيش قلبا و قالبا مفهوم المواطن العالمي المنتمي لما أؤمن به من عظيم القيم.

هل هذا مجرد حلم ؟ هل يصبح الحلم جزءا من الواقع ؟

هناك حياة...هناك أمل...

بعيدا عن هنا...بعيدا عن البحر...

ما معنى الحياة ؟

ما معنى الحياة ؟ لماذا خلقنا الله ؟ و ما الهدف ؟

هل فكرت يوما ما كيف سيكون ذكرك بين الناس بعد أن تفارق الحياة ؟

هل تعتقد أن الموت هو نهاية المطاف ؟

ما هي البصمة التي ستتركها قبل أن ترحل ؟

من المؤكد أنك تستطيع أن تجيب عن هذه الأسئلة كلها وأنت على قيد الحياة، بل الآن إن شئت.

لو أن هناك من سيذكرك بعد وفاتك قائلا : كان فلان شخصا رائعا يحترم نفسه و يعمل بإخلاص و يترك الأثر الطيب في المجتمع فاعلم أن ذاك أجمل شيء يمكن أن يفوز به الإنسان : أن لا يمر بين الناس مجهولا و لكن أن يترك أثرا إيجابيا في معترك الحياة.

لا تعش كيفما اتفق، لا تكن سلبيا، مستهلكا، سائرا وراء القطيع. ضع بصمتك. عش حياتك بمنتهى الروعة و الإبداع. عش ما قدره لك المولى.. و لكن ضع بصمتك !

إن البصمات التي يمكن أن تتركها في محيطك كثيرة لا تحصى. إن من ضمنها أن تبعث رسائل إيجابية إلى أصدقائك و أقاربك في كل وقت : أن تحمد الله سرا و علنا لأنك ما زلت على قيد الحياة، أن تترجم الشكر لله بمساعدة الفقراء و الحنو على الأيتام و تشجيع الباحثين عن النجاح، أن تشعر مع نفسك و أمام الآخرين أنه رغم الهزيمة فأنت صامد مثل الجبل الشامخ، أن تقدر قيمة الحياة و تغدق البسمة على من تحب، أن تتذكر الآخرين لأنهم كثيرون من يتذكرونك في الأوقات الصعبة و غيرها، أن تستيقن أن رياح الربيع هبت حاملة إليك رسائل الأمل، أن تعلم أن الفن و الجمال و النغم الجميل معد لك ليستمتع به فؤادك، أن تسامح الآخرين مهما كان، أن تدرك أنك رغم كل الصعاب إنسان كريم قادر على التحلي بالتفاؤل الدائم و أنك كالمحيط الشاسع كريم معطاء، أن تدرك أن الجميع يعتقد أنه على حق فلا داعي للجدال، أن تعبر عن أفكارك بكل شجاعة لكن دون صراخ، أن لا تبذل مجهودا خرافيا لتقنع الآخرين أنك شخص رائع فوحده سلوكك يحدد ذلك، أن لا تتوهم أن الجميع سيحبك

رغم روعتك فذلك من المحال، أن تكون مستمعا جيدا للآخرين تدعهم يعبرون عن أفكارهم و أحلامهم و خاصة مشاعرهم، أن لا تقيس العالم بميزان الكمال فوحده الله الكامل المتعالي عن النقائص، أن تشكر كل شخص يثني على عملك و مجهودك، أن تأخد وقتك الكافي لتستمتع بالجمال من حولك...

عش حياتك بمنتهى الروعة و كن مؤثرا، فاعلا غير مفعول به، و ضع بصمتك ! إن الأثر الايجابي في الحياة لهو الحياة الحقيقية. إن القيمة العليا التي تستحق أن تعيش و تجاهد من أجلها هي أن لا تمر مرور الكرام، و لكن أن تجعل الآخرين يمتدحون حضورك بينهم و إسهامك في التنمية و التنوير و يأسفون ربما لغيابك قائلين : "كان رجلا عظيما. لكم أثر فينا بخلقه و اجتهاده و إخلاصه و شغفه بالعلم و العمل ! "

إن التعليم لا يجعلك بالضرورة سعيدا. إن النجاح لا يعلمك دائما أن تكون ودودا و متعاطفا. إن الفقر لا يجعل منك في عصر الماديات إنسانا حكيما. إن الثراء الفاحش قد يكون أحيانا مصدرا للمشاكل و الإحساس الفظيع بالفراغ. إن الخبرة لا تزيدك دائما ذكاء و فطنة. و لكنك حينما تضع بصمة إيجابية في مجتمعك و تترك فيه أثرا طيبا، فذاك لا محالة مصدر لحب الناس لك. إن الحب الصادق يسمو فوق التعليم و النجاح و الثراء و الزهد و الخبرة. إن الحب ينطبع دائما في قلوب الناس و يعلمك كل شيء.

بصمات في الحياة

هل أنت من الأشخاص الذين يأكلون و يشربون و ينامون و يتزوجون و ينجبون و يموتون ؟

هل هذا الأسلوب في الحياة يساوي شيئا ؟

ما معنى الحياة ؟ لماذا خلقنا الله ؟ و ما الهدف ؟

هل فكرت يوما ما كيف سيكون ذكرك بين الناس بعد أن تفارق الحياة ؟

هل تعتقد أن الموت هو نهاية المطاف ؟

ما هي البصمة التي ستتركها قبل أن ترحل ؟

من المؤكد أنك تستطيع أن تجيب عن هذه الأسئلة كلها وأنت على قيد الحياة، بل الآن إن شئت.

لو أن هناك من سيذكرك بعد وفاتك قائلا : كان فلان شخصا رائعا يحترم نفسه و يعمل بإخلاص و يترك الأثر الطيب في المجتمع فاعلم أن ذاك أجمل شيء يمكن أن يفوز به الإنسان : أن لا يمر بين الناس مجهولا و لكن أن يترك أثرا إيجابيا في معترك الحياة.

لا تعش كيفما اتفق، لا تكن سلبيا، مستهلكا، سائرا وراء القطيع. ضع بصمتك. عش حياتك بمنتهى الروعة و الإبداع. عش ما قدره لك المولى.. و لكن ضع بصمتك !

إن البصمات التي يمكن أن تتركها في محيطك كثيرة لا تحصى. إن من ضمنها أن تبعث رسائل إيجابية إلى أصدقائك و أقاربك في كل وقت : أن تحمد الله سرا و علنا لأنك ما زلت على قيد الحياة، أن تترجم الشكر لله بمساعدة الفقراء و الحنو على الأيتام و تشجيع الباحثين عن النجاح، أن تشعر مع نفسك و أمام الآخرين أنه رغم الهزيمة فأنت صامد مثل الجبل الشامخ، أن تقدر قيمة الحياة و تغدق البسمة على من تحب، أن تتذكر الآخرين لأنهم كثيرون من يتذكرونك في الأوقات الصعبة و غيرها، أن تستيقن أن رياح الربيع هبت حاملة إليك رسائل الأمل، أن تعلم أن الفن و الجمال و النغم الجميل معد لك ليستمتع به فؤادك، أن تسامح الآخرين مهما كان، أن تدرك

أنك رغم كل الصعاب إنسان كريم قادر على التحلي بالتفاؤل الدائم و أنك كالمحيط الشاسع كريم معطاء، أن تدرك أن الجميع يعتقد أنه على حق فلا داعي للجدال، أن تعبر عن أفكارك بكل شجاعة لكن دون صراخ، أن لا تبذل مجهودا خرافيا لتقنع الآخرين أنك شخص رائع فوحده سلوكك يحدد ذلك، أن لا تتوهم أن الجميع سيحبك رغم روعتك فذلك من المحال، أن تكون مستمعا جيدا للآخرين تدعهم يعبرون عن أفكارهم و أحلامهم و خاصة مشاعرهم، أن لا تقيس العالم بميزان الكمال فوحده الله الكامل المتعالي عن النقائص، أن تشكر كل شخص يثني على عملك و مجهودك، أن تأخذ وقتك الكافي لتستمتع بالجمال من حولك...

عش حياتك بمنتهى الروعة و كن مؤثرا، فاعلا غير مفعول به، و ضع بصمتك ! إن الأثر الايجابي في الحياة لهو الحياة الحقيقية. إن القيمة العليا التي تستحق أن تعيش و تجاهد من أجلها هي أن لا تمر مرور الكرام، و لكن أن تجعل الآخرين يمتدحون حضورك بينهم و إسهامك في التنمية و التنوير و يأسفون ربما لغيابك قائلين : "كان رجلا عظيما. لكم أثر فينا بخلقه و اجتهاده و إخلاصه و شغفه بالعلم و العمل ! "

إن التعليم لا يجعلك بالضرورة سعيدا. إن النجاح لا يعلمك دائما أن تكون ودودا و متعاطفا. إن الفقر لا يجعل منك في عصر الماديات إنسانا حكيما. إن الثراء الفاحش قد يكون أحيانا مصدرا للمشاكل و الإحساس الفظيع بالفراغ. إن الخبرة لا تزيدك دائما ذكاء و فطنة. و لكنك حينما تضع بصمة إيجابية في مجتمعك و تترك فيه أثرا طيبا، فذاك لا محالة مصدر لحب الناس لك. إن الحب الصادق يسمو فوق التعليم و النجاح و الثراء و الزهد و الخبرة. إن الحب ينطبع دائما في قلوب الناس و يعلمك كل شيء.

ما معنى أن تكون سعيدا ؟

إن الحياة الخالية من القيود هي أروع حياة. تخيل أنك تقود سيارتك بسرعة ١٢٠ كلم/الساعة و أنك تخترق مئات من الأميال في الطريق السيار من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب. تخيل أنك اخترت أن تسافر لوحدك حتى تبتعد و لو لأيام معدودة عن صخب الحياة اليومية و ضجيجها الذي لا يطاق. سافر بين الفينة و الأخرى و لا تغرق حتى أذنيك في الروتين. غير أفكارك تماما كما تغير ملابسك. بشكل مستمر و متواصل. ما زلت تقود سيارتك و خيالك جامح لا حدود له. الموسيقى خافتة. جاز، بلوز، بيانو... لا يهم. المهم أن ترتاح من الهموم و تخرج من الروتين القاتل. إن أي شيء يحول بينك وبين قلبك يخلق ألماً لا يطاق. استفت قلبك و استمع لندائه الخفي و العميق. تريد أن تحيا بشكل مختلف و أن لا تحصر نفسك في القوالب الجاهزة و الأفكار النمطية ؟ هيا ! ما المانع ؟

قلت لي، ما زلت أذكر يا عزيزي، أنك سألت عشرين شخصا من أصدقائك و أقاربك و زملائك في العمل عن السعادة . ما معنى السعادة ؟ ما معاييرها ؟ ما هي وصفتها السحرية؟ و جاءت كثير من الإجابات على النحو الآتي :

- السعادة هي أن تكون شديد الثراء

- السعادة تتلخص في كلمة واحدة : المال

- السعادة ثلاث كلمات لا رابع لهن : مال، نفوذ، علاقات

- السعادة أن تكون لك زوجة حسناء، طفلان، منزل كبير ومريح و سيارة فارهة...

قلت لي يا عزيزي أنك صدمت من هذه الإجابات التي تخندق السعادة في الماديات. الماديات فحسب. جن جنونك حين لم تجد شخصا واحدا أشار إلى ملمح غير مادي من ملامح السعادة : التوازن، التناغم بين العقل و البدن و النفس و الروح، البساطة ، الرضا عن النفس...

قررت أن تكتب يومذاك نصا يجيب عن السؤال : *ما معنى أن أكون سعيدا ؟*

"إن السعادة بالنسبة لي لا تحتاج إلى تعاريف فلسفية أو اضاءات وجودية أو تنقيبات انطولوجية. سعادتي تتلخص في فكرة واحدة : التناغم مع منظومة القيم التي أؤمن

بها و أطبقها في حياتي اليومية. كيف لي أن أكون سعيدا ؟ إن الاعتراف بمشاكلي هو أول خطوة نحو السعادة لأني لا أستطيع أن أحل مشكلة دون أن أواجهها. يقول داروبين عالم الأحياء أن التكيف و المرونة العاطفية هي سبب بقاء الإنسان و ليس الذكاء أو القوة ، و أنا أعتقد أن تكيفي مع كل الظروف و رؤيتي الدائمة للنصف الممتلئة من الكأس طريق أيضا نحو الرضا الشخصي و السعادة".

إننا جميعاً نتطلع إلى السعادة ونبحث عنها . لكن السعادة ليست هدفاً في ذاتها . إنها نتاج عملك لما تحب ، وتواصلك مع الآخرين بصدق و عمق . إن السعادة تكمن في أن تكون ذاتك ، أن تصنع قراراتك بنفسك، أن تعمل ما تريد لأنك تريده ، أن تعيش حياتك مستمتعاً بكل لحظة فيها .إنها تكمن في تحقيقك استقلاليتك عن الآخرين وسماحك للآخرين أن يستمتعوا بحرياتهم، أن تبحث عن الأجمل في نفسك وفي العالم من حولك... إن جزءا كبيرا من السعادة يكمن في راحة البال... و راحة البال هي معرفة أنك قمت بالعمل الذي كان ينبغي عليك القيام به ، وأن تغفر لنفسك اللحظات التي لم تكن فيها بالقوة التي كنت تريد أن تكون عليها.

و الآن بعيدا عن هذه الأفكار النظرية و الفلسفية حول السعادة (و قد تروقك أو لا تتفق معها)، خذ ورقة و قلما، و أنجز معي من فضلك التمرين التالي :

أرسم دائرة كبيرة و تخيل في أعماقك قبل أن تملأها أنها تمثل الكون، بعبارة أخرى عالمك الداخلي. قسم الدائرة إلى أربعة أجزاء متساوية. هذه الأجزاء هي العقل و البدن و النفس و الروح. تصور أن سعادتك هي توازن و تناغم هذه المركبات دون أن يطغى أحدها على الآخر. في الجزء المتعلق بالقلب سطر مجموعة من الاستراتيجيات القابلة للتنفيذ و التي تجعل عقلك سليما، خلاقا و مبدعا. القراءة مثلا، التأمل، حل المشاكل بدل الهروب منها، لعب الشطرنج... في الأجزاء الباقية المرتبطة بالبدن و النفس و الروح طبق التمرين نفسه و ابحث بكل حزم و جد عن احتياجاتك و أهدافك. اكتب هذه الأهداف بلغة واضحة و بأسلوبك الخاص. رتب بلوغ هذه الأهداف على ثلاث مستويات زمنية : مدى قصير، متوسط و طويل. أكتب في الأجزاء الأربعة لدائرة السعادة (لنسمها هكذا) كل ما يتبادر إلى ذهنك من أفكار دون رقابة و بكل إبداع. استخرج نسخا عديدة من دائرة سعادتك و علقها في أمكنتك الشخصية : فوق المكتب، في غرفة النوم، في المطبخ، في شرفة البيت، في مكان العمل... اقرأ دائرة سعادتك بصوت مرتفع مرات و مرات. أغمض عينيك. تنفس

بعمق. تخيل أن كل كلمة و قيمة إيجابية من دائرة السعادة تنطبع في أعماقك و تدفع بك حتما نحو الثروة و الرضا و النجاح.

و أخيرا تذكر جيدا ما قلناه في بداية هذا المقال : إن الحياة الخالية من القيود هي أروع حياة. و تخلصك من القيود (على الأقل الذهنية) سيساعدك حتما على إنجاز و إنجاح تمرين دائرة السعادة. لماذا أنت موجود ؟ ماذا تفعل هنا ؟ ما هدفك في الحياة ؟ وحدك تملك الإجابة عن هذه الأسئلة.

شكرا لمطالعتك هذا النص. شكرا لاهتمامك و انتباهك. دمت في رعاية الله و إلى اللقاء !

زعماء الويب

من هو القائد رقم ١ في عالم الويب ؟ أهو ذاك الذي يصنع أفضل مضمون ؟ أهو ذاك الذي يمتلك ما يكفي من الكاريزمة لتجييش الآخرين ؟ أهو ذاك الذي يأسر العقول و القلوب بكلامه و فيديوهاته و تدويناته و أيقوناته على الفيس و تويتر و إنستغرام ؟ أهو ذاك المثقف اللامع في زمن الجهل و اللاقراءة و عبادة الصور و مطالعة العناوين بدل الأخبار و البحث عن الفضائح قبل المعارف و الشهرة قبل المصداقية و الإقناع ؟

من هو زعيم الويب في هذا الزمن المعولم الهجين المتشابك المعقد المفتوح تواصليا، عموديا و أفقيا، على كل الاتجاهات و الاحتمالات ؟

من المفيد أن نطرح هذه الأسئلة الكبرى و نحن نحاول أن نفهم و لو قليلا ظاهرة نجوم مواقع التواصل الاجتماعي الذين باتت تقاس شعبيتهم بآلاف بل ملايين اللايكات. هل أصبح المزيد من اللايكات مرادفا للوجود ؟ أضغط "لايك" إذا أنا موجود ؟

إننا اليوم نعيش و نجاور زعماء للعالم الالكتروني أصبحوا يبصمون على حضورهم بالصوت و الصورة و النص التفاعلي و الهاشتاغ...مخلخلين مفاهيم الريادة و الزعامة و النفوذ و التحكم في زمن التواصل الأفقي و التفاعلية اللامحدودة...

يمكن لنا جميعا أن نصبح زعماء ويب، و لكن ماذا نكتب؟ ماذا ندون؟ ماذا نريد ؟ على من نريد أن نؤثر ؟ بأي وسيلة ؟ بأي لغة ؟ بأي أسلوب؟ هل هناك خط من القيم ألتزم به قبل أن أدون على الويب، أم أن هدفي الوحيد و الأوحد البحث عن الشهرة و على حساب الصدق و ما سما من القيم ؟

على جدران الفيسبوك نقرأ كل القصص لكل الناس، للمواطن المطحون و الحاكم الظالم، للفقير و الغني، و المفكر و التافه، و المعارض و الموالي...هنا، لسنا أمام كتابة واحدة و نمط أحادي في التفكير، لكننا أمام عالم من الكتابات و الايديولوجيات...

على الفيس، الكل يريد أن يصبح زعيما، و يؤثر و يجيش و يوجه و يصنع الرأي العام...دوامة المعنى الضائع أحيانا في الغوغاء و اللامعنى...
دوامة الويب...

و الآن أي مواصفات تناسبك لتكون من زعماء الويب ؟

محمد..صانع الأمل

من ذلك الرجل الذكي الذي أسر قلوب أصحابه بالكلمة الطيبة و ملك خصومه بالعفو بدل العقاب ؟

من ذلك اليتيم الذي رعى الغنم في الشعاب و جابه الفقر بقوة الأبطال، و عاش فقيرا و غنيا، محكوما و حاكما، مدافعا و محاربا، تاجرا و مصلحا، و مسافرا إلى الله من صحراء الحياة إلى جنة المأوى و دار البقاء ؟

من ذاك الزاهد في نعيم الحياة ؟

من ذاك المعلم الذي بهر العالم ببساطته في الحياة و فلسفته القائمة على الفعل و الإعمار و بناء الإنسان ؟

من ذاك الهادي المهدي الحبيب المصطفى الذي دان له الشرق و الغرب و أنارت حكمه و هديه و مواعظه أصقاع الأرض و استأنس بعلمه العباقرة و الأفذاذ ؟

من ذاك الجامع لكل احتياجات البشر المبعوث رحمة للعالمين و مرشدا للضائعين و نورا للأنام ؟

من ذاك النصير للضعفاء و الصانع للأمل بعد قرون من اليأس و طول الانتظار ؟

إنه محمد. صلى الله عليه و سلم...

محمد...نور الأنوار. النبي القائد الملهم و الأمل الدائم المتجدد في قفار الحياة...

لنجعل شعارنا إذا مع اقتراب احتفال العالم الإسلامي بذكرى المولد النبوي الشريف كلاما نقوله في حب الرسول، حديثا صادقا نابعا من القلب، في حب خير الورى، الهادي المهدي، ذي الخلق العظيم...

لنجعل شعارنا جملة واحدة، لكنها ناطقة بملايين المعاني : "نحبك يا محمد".

لنضع هذا الشعار أمامنا، أينما كنا، و نتخلق به، و لنبن حياتنا في ضوئه، فكلنا محمد. صلى الله عليه و سلم.

هناك أشياء يجب أن نفعلها حتى نبرهن بصدق عن حبنا للإسلام و تمسكنا بتعاليمه، فهذا الدين ليس عاطفة و دموعا و انكسارا فحسب، إنه دين التأسي بالرسول الكريم في جميع أخلاقه و معاملاته، إنه دين العلم و العمل و التفوق والانجاز و تجاوز سجن الأنا و الجد و المثابرة و الحزم و التحضر و عدم الرد على السفهاء و تحاشي الجهلاء، مصداقا لقوله تعالى : " و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما".

لنترك سنة الحبيب تدخل قلوبنا. لنجعل شعارنا جملة واحدة، لكنها ناطقة بملايين المعاني : "نحبك يا محمد"...

لنضع هذا الشعار أمامنا، أينما كنا، أينما حللنا و ارتحلنا.لنتخلق به، و لنبن حياتنا في ضوئه، فكلنا محمد.

إلهنا واحد

أثارت انتباهي قبل قليل و أنا أبحر على الفيسبوك عبارة جميلة و لكنها تستحق منا بدل التفكير الطويل الكثير من الفعل الايجابي. ما هي هذه العبارة ؟ "جمعة مباركة". نكتب هذه السطور و اليوم جمعة، و نتمنى فعلا أن تكون مباركة و جالبة للخير و السلام لملايين الناس في كل أرجاء العالم، لكن بعيدا عن عبارات التمني، نحتاج إلى الكثير من الفعل الانساني الطيب يوم الجمعة و في سائر الأيام.

إن الفيسبوك أصبح مجالا رحبا لتبادل الكثير من العبارات و الجمل و الأخبار الجادة و في مرات كثيرة التافهة... كل هذا مفهوم... و لكن ماذا أعددنا ليومنا هذا، لاسبوعنا، للشهر الحالي، بل ما هي استراتيجيتنا على مدار عام كامل ؟

في عام ١٩٩٦ ، كنت مسافرا في القطار الرابط بين فاس و الرباط، و كانت لي محادثة ملهمة لن أنساها ما حييت مع أحد رفقاء السفر. كنت يافعا آنذاك، لم أكمل بعد السادسة عشرة من عمري و كان جاو المنحدر من البرتغال و المقيم في الولايات المتحدة و الذي جاوز سنه الخامسة و الأربعين ...كان جاو هادئا عميق التفكر طوال مدة السفر، و كان هو الذي بادرني بالحديث :

- إن سفرنا هذا لا يساوي شيئا في نهر الحياة المتدفق المليء بالتجارب و الخطط و الترحال و التعلم الدائم. ٣ ساعات دون احتساب التأخير المحتمل للقطار... إن أفضل خطة لتزجية هذه السويعات تبادل الأفكار مع شخص لطيف مثلك و الاستغراق في التأمل و الصلاة. هذا العالم عجيب و لا نهائي و مدعاة للتفكر. يجب أن لا نتوقف عن الصلاة...

لم أرد أن أتكلم كثيرا في حضرة هذا الرجل الروحاني المفعمة روحه بالاشراقات بل فضلت الاحتماء بالصمت، فصمت قليل و لو لدقائق معدودة أفضل من ألف كلام. و بعد ساعة من التأمل وضع جاو انجيله جانبا و قال لي :

- عندما هاجرت الى الولايات المتحدة للعمل لم تكن البداية سهلة كما تخيلت. كان لزاما علي بذل الكثير من الجهود في تلك الحياة المادية الطاحنة، في ذلك البلد الشاسع الذي لم يكن مرادفا فقط للحلم الأمريكي، بل أيضا للتحدي و لتجاوز الذات. كانت

حيـاتي عمـلا دائمـا و اجتهـادا متواصـلا و الأهـم مـن هـذا و ذاك مجـالا للتفكـر و الارتباط بالخالق و كان ذلك يمنحني طاقة هائلة و يذلل لي الكثير من الصعاب...

إني لن أنساك يا جاو...

إن عالمنا عجيب و لا نهائي و مدعاة للتفكر. يجب أن لا نتوقف عن الصلاة...كلامك صـحيح يـا جـاو، و ايمانـك المسيحي النقـي لا يختلـف عـن نظيـره لـدى الملايـين مـن المسلمين المشحونة قلوبهم بحب الله رب العـالمين. إلهنـا واحد يـا جـاو. بـل أكثـر مـن ذلك فإني أعتقد من صميم القلب أن الخالق العظيم لـه رسـالة واحدة لكل البشر مهمـا اختلفت مشاربهم و عقائدهم...

ان أديـان البشـر شـتى لكـن ربهـم واحـد...ان إلهنـا واحـد و هويتنـا الواحـدة العميقـة أن نخلـص فـي حبـه و نعشـقه بكـل جوارحنـا و نمتثـل لـه و نكـون مـن عبـاده و جنـوده المصلحين في الأرض...

أوتار الروح

بدأت أعي أن للموسيقى علاقة بمملكة الروح منذ ١٣ سنة خلت، أي منذ بداية معرفتي بجوليان. و كان في اعتقادي قبل هذا التاريخ أن الموسيقى ألحان و كلام موزون و طرب و... و لا علاقة لكل هذا بتجليات الروح. لكن بعد أن صادقت جوليان و استمعت مرارا و تكرارا لمعزوفاته الرائعة على آلة البيانو تبين لي منذ أول مقطوعة شنف بها مسامعي أن للروح أوتارا هي الموسيقى بعينها. الموسيقى وتر من أوتار الروح.

كان جوليان يقول لي دائما :

- هل تعلم أن داوود كان يترنم بمزاميره على أنغام الموسيقى ؟ هل تعلم أن الموسيقى لم تأت من الفراغ، لكنها من وحي الأديان؟... أنظر مثلا إلى رقص الدراويش...استمع إلى نايات الصوفيين و الكمان الحزين لعاشق يعيش صدمة الفراق...استمع إلى أهازيج الأمازيغ في أعالي الأطلس أو إلى مناغاة الأم لرضيعها...هذه المناغاة أيضا موسيقى بامتياز...

و عندما كان جوليان يكلمني عن الموسيقى، عن تاريخها و انواعها و اقسامها و مقاماتها كنت ألوذ بالصمت التام و لا أنبس. فما زادي في هذا المحيط الشاسع غير استحسان لبعض الأغاني و عشق لبعض الأيقونات الصداحة أصواتها هنا و هناك...

و كان من عادته أيضا أن يمتدح البيانو باعتبار أن من يجيد العزف عليه يستطيع أن يجني الكثير من المال في وقت قليل :

- نحن نسكن يا مهدي في بوردو و الناس هنا تتذوق الموسيقى الراقية، و لحسن حظي أني أربح في ساعة عزف واحدة قرابة الثمانين اورو دون احتساب البقشيش. كان والدي يقول لي دائما : "دعك من المهن التقليدية : ساعي بريد، موظف، أجير في شركة...و امتهن الموسيقى... و أنت تعلم أني سأنال عما قريب الماستر في الموسيقى و أني عازم أن اسجل في الدكتوراه في التخصص نفسه...و بمجرد نيلي لشهادة الماستر سأتبارى لتدريس الموسيقى في السلك الثانوي...

و مرت اسابيع قليلة و كان لجوليان ما أراد ، و انقطعت عني اخباره في السنوات الأخيرة و لكنه ما زال حاضرا في البال و لعله خير... و قبل أيام قليلة فوجئت

برسالة الكترونية من جوليان، و كان كعادته قوي التعابير فياض العواطف ذواقا للجمال، لكن هذه المرة، مع شيء من الأسى بصم رسالته إلي :

"عزيزي مهدي، سعيد لأني أتواصل معك و آسف لأني لم أكتب لك طوال هذه السنوات. الموسيقى ما زالت كما تعلم توأم روحي و شغفي الأبدي و حبي الخالد. أنا الآن أدرس الموسيقى في إحدى الجامعات العريقة بشمال فرنسا. سعيد جدا بعملي و رسالتي في الحياة، و ما زلت اربح من العزف على البيانو في السهرات الخاصة، إلى جانب كتابات علمية في المجال نفسه. سعيد بكل هذا. لكني، ربما مثلك و أنت أيضا رجل تعليم (علمت ذلك من الفيسبوك)...لكني حزين لحال الكثير من شبابنا الذين لم يعد يهمهم من التعلم سوى الشهادة عوض تهذيب الروح و بناء الشخصية و تذوق الجمال...إن كثيرا من طلبتي فاترو الحماس و لا تهمهم في نهاية التحصيل سوى ورقة اسمها شهادة علمية. إن هذه الشهادة لا تساوي سوى الحبر الذي كتبت به. إن التعلم الحقيقي فوق كل الشهادات. إنه عشق و إبداع و سعي دائم إلى الجمال..."

لا تحزن يا جوليان. أنت موسيقي و فنان أصيل. حسبك أن يستمع لك البيانو و يرسل في الكون ألحانا يطرب لها الوجدان. لا تكترث لمن يريد أن يتعلم فقط بعيدا عن العشق، بعيدا عن قداسة الجمال و الروحانية اللانهائية للموسيقى. شكرا على كل شيء، و شكرا لرسالتك الطيبة التي أعادتني إلى سنوات جميلة خلت...

الموسيقى حياة. الموسيقى حب للحياة. الموسيقى لغة لا تنتهي و صلوات في محراب الجمال. الموسيقى روح في روح. الموسيقى وتر من أوتار الروح...

راجعون إلى الله

نحن نعيش في عالم مصطخب متوتر الهويات و الأديان. إن الصراع المزعوم للأديان هو صراع للجهالات. إن ما تمر به البشرية اليوم من صراعات بين الطوائف و التيارات السياسية و الايديولوجيات هو في الواقع أزمة تأويل الإنسان الواحد المتعدد. إننا في عالم الهويات القاتلة...

قبل اسابيع قليلة جمعني لقاء فكري بمجموعة من الشباب الذين ألف بين قلوبنا الايمان و حب العلم. و طرحنا اسئلة كثيرة دون أن نجد لها إجابات. و كان أول سؤال مركزي طرح هو : من نحن ؟ ماذا نفعل ؟ و إلى أين نذهب ؟

و هنا تدفق في ذهني طوفان من الأفكار :

" إننا في هذا العالم بشر، أديانا شتى، لكن الهنا واحد. إنه من المؤلم أن تسعى كل طائفة إلى إضعاف الأخرى معتقدة أنها من تمتلك الحقيقة. إن الحقيقة الدينية المطلقة وهم كبير و الأفضل أن نضع الصراعات جانبا و نبحث معا عن المزيد من التعاطف و الحب. من نحن ؟ نحن بنو آدم و حواء و هدفنا من الحياة الحوار و الرجوع للدين الحق دون انتصار شخص على آخر. هناك عدد من المتدينون يعتقدون أنه كلما زادت آلامك و أحزانك في الدنيا كنت مؤهلا للفوز بالجنة. الجنة تبدأ الآن و هنا و يمكن لها أن تسع في الآخرة جيوشا من المؤمنين. ماذا نفعل ؟ إننا نسعى في حياتنا الدنيا إلى النجاح و اعمار الأرض و نشر الخير و مقاومة الاضطهاد مهما اختلفت مشاربنا و مللنا. إن هذا التماثل العجيب دليل ساطع على كون أن الإنسان قادر على صياغة أخلاق ذات طابع كوني. إن الآخر في عمقه هو الأنا عينه، فتعدد الثقافات ينصهر في بحر الفيوضات الرحمانية التي تبتغي للإنسان الصراط المستقيم المؤدي بسالكه إلى الفوز و الرضا. إن البشر مختلفون لا محالة و لكن ما يوحدهم هو لغة الحب. ألم يقل لنا الرسول محمد صلى الله عليه و سلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ؟

إلى أين نذهب ؟ إن طريقنا السديد هو معرفة الله و البحث عن الذات الالهية المتجلية في كل ذرات الكون. إن طريقنا الأمثل هو دعوة كل البشر إلى التسامح و التآخي فيما بينهم، فالله الرحمان الرحيم حاضر في كل الموجودات و في كل الأديان. هل هناك فرق بين معاناة يتيم بوذي، مسيحي، مسلم أو وثني ؟ كلنا بشر نشترك في القدر نفسه من المعاناة و خلاصنا واحد : الرجوع إلى الله."

مسؤوليتنا على السوشيال ميديا

يعج عالمنا بمواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت باستعمالها الكبير و انتشارها الرهيب بين جميع الفئات و الأعمار فضاء خصبا لتبادل المعلومات و تقاسم الرؤى و الأفكار. و المثير للانتباه ما درج عليه الكثير من رواد هذه المنابر من التفاخر بمثاليات بعيدة عن الواقع، فثمة عدد هائل من صفحات و تدوينات التنمية الذاتية و الدعوة إلى القيم العليا، بحيث أنه ليس بالضرورة أن يعكس كل ذلك الحياة الحقيقية لهؤلاء المستعملين.

هناك ترابطات كثيرة لا تحصى على السوشيال ميديا و تغريدات لا تنتهي و توجهات فكرية تتكون و تتبلور و تنتشر كالنار في الهشيم، كل ساعة و كل دقيقة. لكن هل ذلك فقط ما نحتاج إليه ؟ ترابطات و علاقات لا تنتهي دون المعنى الحقيقي للتواصل؟ كيف يمكن لك أن تصل الرحم بلايك ؟ كيف يمكن أن أمد يد العون لأقربائي و اصدقائي و أنا جالس ١٠ ساعات أمام الفيسبوك دون أن اذهب لزيارتهم و تفقد أحوالهم ؟ كيف يسمح بعض مدعي الصحافة أن يروجوا على السوشيال ميديا الأخبار الكاذبة و الزائفة بهدف البحث الوحيد عن الضجة الاعلامية و بعيدا عن ما يجب أن يتسم به الخبر من مصداقية و جدية و إفادة ؟

إنه لأمر غريب أن يروج العديد من رواد السوشيال ميديا للأساطير و الأكاذيب دون التأكد من صحتها و دون أن يتجشموا عناء بل واجب غربلتها. إن الفتنة الناجمة عن نشر الوقائع المزيفة أكبر من الزيف نفسه. و الغريب أيضا تواتر عبارات من قبيل "انشرها تؤجر..، إن لم تنشر هذا الخبر فأنت لا تحب وطنك، بادر و انشر و لك الأجر عدد ما قرئ هذا المحتوى ١٠ مرات و الله يضاعف لمن يشاء، عاجل: انشر حالا ! ما هذا الهراء ؟

إن كل مستخدم للسوشيال ميديا يحتاج إلى تسطير ميثاق أخلاقي لحسن الاستخدام. إن هذا الميثاق يجب أن يكون ملزما و متماشيا مع قيم الذوق السليم و الحس النقدي و الذكاء المعرفي و ابتغاء الخير للغير. بمعنى آخر

١ ألتزم بالمسؤولية التامة بالنسبة لكل محتوى أنشره

٢ اتعهد بأن لا أروج للأخبار الزائفة و أن اتأكد من مصدر أي محتوى قبل ترويجه

٣ أبتعد تماما عن إشاعة الكراهية و الفتنة و العنصرية على مواقع التواصل الاجتماعي

٤ أهدف إلى تقاسم كل ما هو مفيد و يتماشى مع الحس النبيل و القيم الانسانية الكونية

٥ لست صحافيا الكترونيا و أترك للصحافيين المحترفين هذه المهمة.

الحضانة ياما الحضانة

هذه شهادة لشخص أعرفه جيدا، أوردها و أرويها كاملة من غير زيادة أو نقصان، هدفي في ذلك أمانة النقل و وصف الأحداث الواردة في هذا النص بأكبر قدر من الموضوعية و الحياد.

يقول الراوي :

"- إن ابنتك في أمان تام، كن مرتاح البال، واعلم يا سيدي أن حضانتنا ذات سمعة أكثر من طيبة، فهي رغم وجودها في وسط الرباط، فإنها الملاذ الآمن للعديد من الرضع و الأطفال الصغار و مقصد العديد من الأمهات ، من تمارة، و سلا و تامسنا و الصخيرات. سمعتنا أكثر من ممتازة، فأبواب حضانتنا مفتوحة منذ سنوات عديدة. أؤكد لك أيضا، سيدي، أن أهم ما نسهر عليه، هو نظافة الأطفال و أمانهم و احترام القانون بحذافيره، فالمربيات هنا كلهن أمهات خبيرات".

هنا ينتهي كلام المديرة.

كيف لي أن أشك في مصداقية هذا الكلام و أنا أضع ابنتي في حضانة أوصاني بها أحد الأصدقاء المقربين، و هي لعلمكم، يا سادة، تقع في حي لا أريد أن اكشف عن هويته ؛ إنه حي الليمون. ها ها ها...

فقبل بضعة أشهر أي منذ أن وضعت ابنتي في الحضانة قالوا لي إن ابنتك لن يصيبها مكروه، و أنها واحدة من فلذات أكبادهم هناك، و أنه لا مجال للخوف، فكل شيء سيكون على ما يرام، رغم أن الأيام الأولى، ستكون أيام بكاء و ألم فراق و صعوبات اندماج بالنسبة للصغيرة، و بعد ذلك تتكيف مع بيئتها الجديدة، و تتعلم أشياء مفيدة منها كصحبة الأتراب و الإحساس بالمسؤولية و المبادرة و الاعتماد على الذات و الوعي بالوقت من خلال

التجريب اليومي للعبة الذهاب و الإياب بين المنزل و الحضانة، وتعلم كلمات و سلوكيات جديدة.

و فعلا ذلك ما كان، و صدقتهن وقلت ما شاء الله على مربياتنا الفاضلات، فهن على الرغم من كونهن لا يتوفرن على أدنى دبلوم في التربية أو علم النفس،إلا أنهن لا يسهرن فقط على راحة صغيرتي و بقية الأطفال، بل يتكلمن معهم غالب الوقت بلسان فرنسي مبين، بهدف تأهيلهم منذ نعومة أظفارهم، لعالم دراسي و مهني يقوم على ثنائية بل تعدد اللغات.

و قلت في نفسي أن كل هذا جيد، رغم أني لا أتصور أن هناك أمريكيا أو يابانيا يحترم نفسه و يعتز بهويته، و يتحدث في الآن نفسه مع رضيعه أو طفله الصغير بلغة تواصل رئيسية غير اللغة الأم.

أعيد القول: كل ذاك مقبول و لعله جيد جدا، فأين المشكل ؟ أين مكمن الداء ؟

الجواب، يا أعزائي، بسيط وسهل.. فقبل أيام قليلة، بعد فراغي من العمل، ركبت سيارتي، و توجهت رأسا إلى الحضانة، لأستلم ابنتي، و أنا في حالة من الانزعاج الشديد، فلقد كان خدها الأيسر مباشرة تحت مستوى العين تعلوه زرقة واضحة، و كانت الزرقة حسب جواب المربية عن سؤالي من أثر سقوط طفل على ابنتي أثناء فتره الاستراحة.

واصلت المربية شرح ما حدث، و همها الأساس الدفاع عن نفسها : " هذا ما حدث يا سيدي بالضبط. التقليد علي إلا كنت كنكدب عليك. هاد الشي لي وقع. و الله العظيم. أرجوك، إياك أن تخبر إدارة الحضانة بما حصل، فإن مصيري إن لم يكن التوبيخ الشديد، فأنه سيكون لا محالة الطرد المباشر، كما حصل مع مربيات سابقات. أرجوك..."

كنت كالمرجل، أغلي من الغضب، غير أني بذلت مجهودا خرافيا لأظل بارد الأحاسيس، سيما و أني أشفقت على المربية، و لم أرض لنفسي بأي حال من الأحوال أن أكون سببا في فقدانها لعملها.

و بعد ٢٤ ساعة أخرى، بالتمام و الكمال، عدت لاستلام بنيتي من الحضانة، لأجد نفسي أمام مفاجأة أخرى: انتفاخ كبير و زرقة مخيفة في جبينها الملائكي.

رباه ! ما الذي حصل من جديد، في هذه الحضانة الآمنة الرائعة التي تكلفني ما يزيد عن ١٣٠٠ درهم كل شهر، دون احتساب ما أحرقه من بنزين للسفر بين مكان العمل و المنزل و حضانة الصغيرة ؟

ما هذه المصيبة ؟؟؟

و كان يومذاك جواب المربية لا يختلف كثيرا عن جواب المرة الماضية :

"هناك سر أود أن يظل بيني و بينك. لدينا هنا في الحضانة طفل لم يكمل بعد العامين و هو مصاب بداء التوحد، و هو المسؤول عما حدث لابنتك. في كل مرة، يمشي دون تركيز و يصطدم بالأطفال. هذا ما حدث يا سيدي بالضبط. التقليد علي إلا كنت كنكدب عليك. هاد الشي لي وقع. و الله العظيم. و زيدون أنا بنتك كتبغيني و عزيزة علي بزاف، أرجوك، إياك أن تخبر إدارة الحضانة بما حصل، فإن مصيري إن لم يكن التوبيخ الشديد، فانه سيكون لا محالة الطرد المباشر، كما حصل مع مربيات سابقات. أرجوك.."

يا للهول !! طفل مصاب بالتوحد، و يوضع هنا في الحضانة، دون رعاية خاصة ؟؟؟

هذا هو الجنون بعينه !

و هنا انفجرت في وجه المربية : "أجيبيني على الفور ! كم عدد المربيات و الأطفال في كل مستوى عمري و داخل كل غرفة (ذلك أن الحضانة مقسمة

إلـى فئـات عمريـة) ؟ و كـم أجـرك الشـهري ؟ و هـل لـديك عقـد عمـل قـانوني؟ و هل لديك تأمين ؟ هيا أجيبيني بسرعة !

و كـان الجـواب صـادما، أكثـر ممـا توقعـت، و لعلـه كـان صـادما مـن كـل حـرف أو جملة سردتها في كل ما سلف من سطور هذا النص:

" فـي المسـتوى العمـري ٦-٢٤ شـهرا لـدينا ١٧ طفـلا و أحيانـا يصـل العـدد إلـى ٢٢ طفـل، و هنـاك فقـط مربيتـان لإدارة هـذا الجـيش الضـخم مـن الصـغار، أنـا و زميلتـي تلـك. أمـا عـن ظـروف العمـل، فـلا عقـد و لا تـأمين و لا حقـوق و لا عطـل مدفوعـة الأجـر، و لا إنسـانية فـي عملنـا... تصـور أنـي أشـتغل مـن الصـباح البـاكر إلـى نهايـة المسـاء دون أن أجـد الوقـت للأكـل أو لأخـذ و لـو قسـط هـين مـن الراحـة يعيننـي قلـيلا علـى الصـمود فـي عملـي المرهـق. تصـور أيضـا أن راتبـي الشـهري يتجـاوز ٢٠٠٠ درهـم ببضـع دريهمـات، و أنـي لأقـل خطـأ أو هفـوة تبلـغ بهـا الإدارة مهـددة بـالطرد، نعـم بـالطرد الفـوري... وا شـفتي آ سـيدي فـين حنـا عايشين ؟؟؟"

لقـد فهمـت كـل شـيء... الأمـر لا يحتمـل الصـمت ! و هـذه الرمانـة وجـب لهـا أن تنفجر الآن، و أن تتطاير حباتها في كل الاتجاهات.

إن هـذا لوضـع مـزر و صـعب، بـل شـديد الصـعوبة، فهـل مـن مسـتمع ؟ هـل مـن أذن صاغية ؟ هل من ضمير حي يستنكر؟ "

التسول بين التكاسل و التواكل

ما الذي يدفع شابا في نهاية العشرين أو مقتبل الثلاثين، حسن الهيئة و الهندام، سليم البدن معافاه، الى أن يمد يده إليك في موقف السيارات مستجديا منك بضعة دراهم، "في سبيل الله" ؟

لماذا يقبل أطفال دون الثانية عشرة على تسول المال من المارة بذريعة جمع التبرعات لحساب فريق رياضي ناشئ ؟

لماذا تجد في مدخل محطة القطار شبابا مقبولين شكلا و مضمونا، و هم يستعطفونك قائلين : "وليدات كازا و منحسرين، عاونا على البيي ديال التران" ؟

لماذا يصر هذا الكناوي الداكن السمرة الذي ألتقيه على الأقل مرة كل أسبوع في ديور الجامع، حيث أسكن، على إمتاع صغيرتي برقصاته المرحة و طقاطيقه الفريدة، و أجد نفسي في كل مرة، و أنا سعيد نشوان، أدس في يده بعض الدريهمات ؟

ما الذي يجبر هذه المرأة الأربعينية، و طفلتها التي لم تتجاوز الثلاث سنوات على الجلوس يوميا، و لساعات طويلة، عند شباك السحب الأوتوماتيكي لبنك التجاري بشارع الحسن الثاني، في مزاولة احترافية لمهنة التسول ؟

لماذا هناك أناس كثيرون في المغرب، لهم أجسام ضخمة كالجمال، و طاقة كبيرة على التحمل و العمل، و تجدهم رغم ذلك، يتسولون، و يعيشون عالة على المجتمع ؟

يعتبر التسول إحدى المشكلات الاجتماعية الشائعة في العالم بأسره، وتختلف نسبة المتسولين من بلد إلى آخر حسب عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية، ولا يختلف عاقلان بأن التسول من العادات المستهجنة في أي مجتمع من

المجتمعات، فأنت إذا أردت أن تنعت شخصاً بأقبح الصفات فإن كلمة متسول تأتي ضمن المعجم الموظف.

إذا كان علم الاجتماع يرَى أنّ التسول في المدن المغربيَّة أضحَى ظاهرة بالفعل تفسرهَا تداعيات الأزمة الاقتصاديَّة في بعض الأحيان، إلّا أنّ هناكَ تفسيراً اجتماعياً آخر مفاده أنّ روح التضامن التي لا تزالُ منتشرة على العموم بين المغاربة، عبر التعامل الخيرِي والإحساني،هي ما تجعلُ جيوشا من محترفِي التسول تنجح في استمالةِ الناس و استدرار عطفهم ،وسط تقاعس السلطات التِي لا تقومُ بما يكفي من الجهود لمحاربة الظاهرة.

و هناك كثير من حالات التسول التي لا تعني في الحقيقة أن المتسول في حاجة إلى المال أو هو عاجز عن العمل بل تندرج في الخداع والتضليل والكسب غير المشروع، علاوة على أن ضعف نفوس بعض المتسولين وغياب الكرامة لديهم هو ما يدفعهم إلى هذا العمل.

و هناك من يعتقد أن المتسولين هم أولا و قبل كل شيء ضحايا. ضحايا للجهل، و ثقافة التواكل، و الكسل، و الكسب السهل، إذ هم يعيشون كالطفيليات، و يمتصون دماء شغيلي المجتمع.

ما هي في رأيكم الدوافع الأخرى و الحقيقية لظاهرة التسول ؟

يمكن القول أيضا أنّ ظاهرة التسول تفاقمت مع الهجرة القرويَّة إلى المدن، بسبب ما يواجههُ الوافدون الجدد من نقص حاد في فرص الشغل، إلى جانب أزمة السكن، مما يضطرهم إلى احتراف التسول الذِي سرعان ما يتحول إلى مهنة حقيقية مدرة للدخل، بالرغم من حطها لكرامة الإنسان و تحويله إلى شخص يتقمص بشكل مستمر دور الضحية و يتقن لبس القناع، قناع المسكين، المعوز و المحتاج دائما و أبدا لعطف الآخرين و جودهم.

إن التسول الاحترافي ظاهرة شديدة التركيب و التعقيد، يتداخل فيها السوسيولوجي، بالنفسي، بنظام القيم و المعتقدات. إن المجتمع المغربي جعل من المال قيمة مطلقة في حد ذاتها و أحد أسمى الأهداف في حياة الإنسان، و موازاة مع ذلك، جعل من الخمول و التواكل والرغبة الجامحة و اللامحدودة في الربح السريع معايير للحياة الاجتماعية و سلوكات مقبولة لدى الأفراد و الجماعات، وهذا ما يجر عدداً هائلا من الأشخاص إلى امتهان التسول.

و نافل القول أن الحديث عن التسول، و اعتباره ظاهرة اجتماعية أو مهنة مدرة للدخل، يمكن أن يطول أو يقصر، حسب المقام و السياق الاجتماعي و مواسم العام (رمضان، الأعياد...)، و بعيدا عن كل هذا، و لأن الحديث في حدود هذا المقال غيض من فيض، عن ظاهرة شديدة التركيب و عصية على الفهم السريع، فإنه من حقنا أن نتساءل في الختام : إلى متى يستغل هذه المهنة كثير من المحتالين لابتزاز الناس و الاغتناء على حساب الكرماء ؟ كيف لنا أن نتحمل مزيدا من الحديث عن الأطفال الرضع الذين يتم اشتراؤهم من دور الحضانة لاستغلالهم في التسول وجمع المال والثروة ؟ أ لم يحن الوقت حتى تطارد السلطات و المسؤولون جيوشا من المتسولين في الشوارع و الطرقات، همهم الوحيد الابتزاز و تشويه الفضاء العمراني و الإزعاج و الاستهلاك ؟ و أخيرا و ليس آخرا، ما هو دور أبواق الإعلام في نشر ثقافة العمل و الإنتاج و محاربة آفات المسكنة و التكاسل و التواكل ؟